الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة قاصدي مربــاح ورقلــة
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

الموضوع :

تداولية المجاز من خلال سورة الكهف

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تخصص البلاغة والأسلوبية

من إعداد الطالبة :
يومبعي جميلة

تحت إشراف الدكتور:
أحمد موساوي

السنة الدراسية 2015/2014

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة قاصدي مربـاح ورقلــة
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

الموضوع :

تداولية المجاز من خلال سورة الكهف

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تخصص البلاغة والأسلوبية

من إعداد الطالبة : يومبعي جميلة

تحت إشراف الدكتور: أحمد موساوي

اللجنة المناقشة:

أ.د.لبوخ بوجميلين.................................رئيسا

أ.د.موساوي أحمد...................................مشرفا ومقررا

أ.د.حلاس عمار ....مناقشا

أ.د. مدقن هاجر.......................................مناقشا

السنة الدراسية 2015/2014

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ

كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا

فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾

صدق الله العظيم

- سورة النساء :82 -

إهداء

بدءا أهدي هذا العمل إلى أغلى الناس على قلبي : أمي وأبي ، ثم إلى كل من كان عونا لي في مسيرتي العلمية وأخص بالذكر أستاذي الدكتور أحمد موساوي وإلى كل من ساعدني ووقف بجانبي شكرا لكم جميعا .

جميلة : **2014 / 11 / 26**

فهرس الموضوعات

الموضوعات: الصفحة
مقدمة... 8
المدخل النظري: تداولية المجاز ....13 -35
أولا:التداولية 14
1-تعريف التداولية والمنهج التداولي 14
2-أهمية التداولية ومهامها 20
ثانيا: المجاز 24
1-تعريف المجاز 26
2-أقسام المجاز 29
ثالثا : تداولية المجاز 33
الفصل الأول: أفعال الكلام في مجازات سورة الكهف ....36 ـ 81
المبحث الأول: نظرية أفعال الكلام (تعريفها وأسسها وأهميتها في الدراسة التداولية)...37
1-الحدث الكلامي عند أوستن...38
2- الفعل الكلامي عند سيرل 42
3 – الفعل الإنجازي 44
المبحث الثاني : أفعال الكلام في مجازات سورة الكهف 46
* – أفعال الكلام في مجازات سورة الكهف...48
أ- الأفعال الكلامية المباشرة 48
ب- الأفعال الكلامية غير المباشرة 75
الفصل الثاني : المقصدية والحجاج في مجازات سورة الكهف ....82 ـ 135
– المبحث الأول : القصد في مجازات سورة الكهف 83
أولا: الإشاريات 85
1-مقدمة السورة 89
2-قصة أصحاب الكهف 92

3-تعقيب على القصة 93
4- قصة صاحب الجنتين 94
5- الجزء الخاص بمشاهد يوم القيامة........96
6-قصة سيدنا موسى مع الرجل الصالح 98
7-خاتمة السورة 100
ثانيا : الافتراض المسبق 102
*- شروط نجاح التواصل 103
*- الافتراض المسبق في مجازات سورة الكهف 105
ثالثا : دور المجاز في إيصال مقاصد الكلام 108
*- دور التصوير المجازي المعتمد على التمثيل 109
*- دور التصوير المجازي المعتمد على الاستعارة 110
- المبحث الثاني: الحجاج في مجازات سورة الكهف 113
أولا : تعريف الحجاج 113
1-عند الغرب 113
2-عند العرب 118
ثانيا : أصناف الحجاج والسلم الحجاجي 121
1 - الحجاج التجريدي 121
2- الحجاج التوجيهي 121
3- الحجاج التقويمي 122
*- السلم الحجاجي 122
*- قوانين السلم الحجاجي 123
ثالثا : الوظيفة الحجاجية في مجازات سورة الكهف 124
1- الحجاج في قصة أهل الكهف 127
2- الحجاج في قصة صاحب الجنتين 129
3- الحجاج في قصة سيدنا موسى مع الرجل الصالح 132
4- الحجاج في قصة ذي القرنين 135

خاتمة 136
- قائمة المصادر والمراجع 139
- ملخص البحث 147

مقدمـــــــــــــــــة

إن القرآن العظيم نص لغوي معجز، فيه ما يصعب على العقل البشري حصره من المقاصد والمعاني. ثم إن نظم أسلوبه يفتح آفاقا رحبة لدراسته على الصعيد التداولي ، كما أن المنهج التداولي الذي سنبني عليه هذا البحث يفتح لنا آفاقا جديدة في تطبيقه على النصوص التراثية ؛ لأنه يعتمد على السياق المتعدد الأبعاد ويجعله أساسا مهما في كل دراساته فيستحيل إقصاؤه في فهم أبعاد اللغة والخطاب .

ولقد اخترنا أن نقوم في دراستنا بتدبر نص القرآن الكريم بواسطة هذا المنهج الحديث سعيا منا للوصول إلى نتائج مختلفة و ممنهجة عما جاء في تفسيرات هذا النص، وخاصة ما يتعلق بالصور المجازية منه . ذلك أن الأسلوب المجازي يجذب المتلقي أكثر من التعبير المباشر لما فيه من تلوين للأفكار وتوليد للصور وبعث للخيال بما هو ملائم لطيف المعنى . ومن هنا جاءت فكرة البحث في تداولية المجاز من خلال سورة الكهف، هذه السورة التي تحمل في طياتها مزيجا مدهشا من الأساليب البيانية والمواضيع المختلفة .

ومنه فدراسة المجاز بالمنهج التداولي تقتضي طرح الإشكالات التالية :

كيف كان المجاز في سورة الكهف من الناحية التداولية؟ وما هي الأدوات التداولية التي ظهرت واضحة في تفسير الآيات المجازية من السورة ؟

ثم إن هذه الأسئلة وما قاربها مرتبطة بالإشكال العام الذي يحاول أن يفسر كيف يختلف قصد المتكلم عن معنى الكلمة أو الجملة ؟ وما هي الوسائل التي تساعدنا على هذا النوع من التواصل وكيف يتحقق هذا الاتصال ؟

ومن خلال هذه الإشكالات نلاحظ أن الدراسة التي سنقدمها لن تركز على مظاهر اللغة الداخلية (صرفية، تركيبية،....) بقدر ما تحاول أن تمزج بين عناصر اللغة وعناصر السياق المرتبطة بالمتكلم والمخاطب والظروف المساعدة في إنجاز العملية التواصلية، وذلك من خلال الخطوات التالية :

* **المدخل النظري** : والذي تناولنا فيه ثلاث عناصر أساسية تمثل الجوانب الأساسية للبحث وهي : – **التداولية** : حيث قمنا بإعطاء نظرة عامة حول هذا القسم من الدراسة اللسانية من خلال تعريفه وإبراز أهميته في تحليل الخطاب والمهام التي تقوم بها التداولية في الكشف عن ما تحمله النصوص من عناصر ووظائف ساهمت في إنشائه.

– **المجاز**: والذي أفردنا له تعريفات لهذا الأسلوب البياني وأقسامه التي وضعها البلاغيون العرب. وفي آخر هذا المدخل حاولنا التقديم لموضوعنا الأساسي والذي هو:

–**تداولية المجاز**: وذلك من خلال الدراسات السابقة التي تناولت في بعض جوانبها هذا الموضوع ،وخاصة ما قام به الأستاذ الباحث العراقي حسين عودة هاشم من خلال مقاله المعنون بـ :(التداولية والمجاز دراسة ابستيمولوجية) .

وحتى لا يكون كلامنا معادا من القول مكرورا ، فقد اجتهدنا في اختصار الجزء النظري من هذا البحث قدر الإمكان؛ ذلك أن الكتب والمصنفات السابقة قد استوفت كل جوانب الموضوع في كل من التداولية والمجاز ،ولكن كل منهما على حدا، كما حاولنا التعمق في الجانب التطبيقي من الدراسة والذي قسمناه إلى فصلين كما يلي:

* **الفصل الأول** :وعنوانه **أفعال الكلام في مجازات سورة الكهف**، وهو يتناول الدراسة النظرية لموضوع أفعال الكلام بشكل مختصر ويعطي نظرة عامة كافية حول أعلامها وأقسامها ، ويركز على مفهوم القيمة الإنجازية، وبعد ذلك نشرع في الدراسة التطبيقية والتي نبرز من خلالها أفعال الكلام للصور المجازية التي أحصيناها في السورة وذلك بتوزيعها على أنواع أفعال الكلام المباشرة وغير المباشرة التي وضعها كل من أوستن و سيرل (مؤسسا نظرية أفعال الكلام).

* **الفصل الثاني**: وعنوانه **المقصدية والحجاج في مجازات سورة الكهف** وهو أيضا مزيج من الدراسة النظرية والتطبيقية؛ حيث نتناول فيه وظيفتين أساسيتين في الخطاب وهما : الوظيفة المقصدية والحجاجية اللتان لا يخلو منها أي خطاب مهما كان نوعه. وقد قدمنا نظرة عامة حول مفهوم كل منهما أتبعناها بإبراز هذه الوظيفة في المجازات المستخرجة من سورة الكهف .

وفي النهاية قدمنا ما توصلنا إليه من نتائج وإجابات على الإشكالات التي قام عليها هذا البحث .

وكما أسلفنا فقد اعتمدنا في عملنا على المنهج التداولي حيث واجهتنا أثناء البحث بعض الصعوبات كان أعسرها ذلك الكم الكبير من المصطلحات والمفاهيم في مجال التداولية والتي نشأت من مشارب مختلفة : لسانية ،فلسفية ،وانثروبولوجية ...إلخ ،كما أنها تتداخل على مستويات عديدة مما يجعل من يغوص في هذا المضمار يقف حائرا في إيجاد نقطة البدء المناسبة لعمله.

ولقد اجتهدنا في هذا العمل للسير على خطوات مترابطة ومرتبة حرصا منا على تقديم عمل مفيد. وبما أن دراستنا تستهدف الصور المجازية في النص القرآني فلم يكن بإمكاننا أن نطبق المنهج المتبع على النص مباشرة حتى لا نخطأ في ما نضعه من تفسير وتأويل، ولذلك اعتمدنا على مصنفات المفسرين للقرآن الكريم وخاصة التي تناولت عنصر المجاز. والتي من أهمها : صفوة التفاسير للصابوني، والتحرير والتنوير للإمام ابن عاشور، والكشاف للزمخشري ...، أما في إحصاء مجازات سورة الكهف فقد كان اعتمادنا كله على كتاب الإشارة للإيجاز في بعض أنواع المجاز لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي، وهو كتاب يحصي مجازات السور القرآنية كلها، من خلال وجهة نظر صاحبه للمجاز.

وإضافة إلى ذلك فقد تنوعت المصادر والمراجع التي ساعدتنا على انجاز هذا البحث والتي نذكر أهمها هنا: كتاب استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية لصاحبه عبد الهادي بن ظافر الشهري، وكتاب مجاز القرآن والذي هو عبارة عن شرح لكتاب الإشارة الذي أسلفنا ذكره وهو من إعداد محمد مصطفى بن الحاج .كما اعتمدنا خلال البحث على عدد من الدراسات والبحوث الجامعية التي تناولت الدراسة التداولية وسيأتي بيانها في آخر البحث .

وقبل الختام لابد من كلمة شكر في حق كل من كان عونا لنا على انجاز هذا العمل ماديا أو معنويا، وأخص بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور أحمد موساوي الذي لم يبخل علينا

بالنصح والتوجيه في جميع مراحل هذا البحث للسير وفق منهج علمي صحيح، كما لا أنسى أعضاء اللجنة الكرام الذين قاموا بقراءة هذا العمل ووقفوا على مناقشته وتصحيحه .

وفي الأخير أسأل الله العلي القدير أننا قد وفقنا في الإلمام بكل جوانب الموضوع وأن تكون الصورة التي جاء فيها هذا الإنجاز قيمة ومفيدة لكل من يتناول هذا النوع من الدراسة والله أسأل أن يكون ما احتوته هذه الصفحات حجة لي لا حجة علي، فما كان من صواب فهو بتوفيق من الله وما كان من خطأ فهو مني، ولله الحمد في البدء والختام .

جميلة في: 26/11/ 2014

الوادي – الجزائر

المدخل النظري :

تداولية المجاز

أولا : التداولية :

يعتبر المنهج التداولي من أحدث المناهج المنبثقة عن حقل العلوم اللسانية وهو ناتج عن الانفتاح الذي شهده هذا الدرس- اللسانيات- على المجالات المعرفية المختلفة. ويحاول هذا المنهج دراسة اللغة في محيطها الحقيقي الذي هو الاستعمال، وهذا البحث جعل التداولية مجالا يربط بين العديد من العلوم المختلفة .

إن هذا المنهج الجديد من مناهج اللغة يتجاوز حدود الخطاب محاولا تحقيق ذاته ليقدم نظرية عامة للفعل القولي والنشاط اللساني، حيث يرتكز على دراسة اللغة في المقام الذي يهتم بما يفعله المستعمل للفظ، فيربط بين الدال والغاية التي وضع لها .

ويحاول المنهج التداولي إعطاء محلل الخطاب بعض الأسس والآليات التي تمكنه من تحقيق دراسة وافية للخطاب بنظرة مقامية خارجية، فهو خطوة ضرورية لاستكمال أي دراسة أو تحليل لغوي .

وقبل التطرق إلى آليات التحليل التداولي لابد من وقفة موجزة نسعى من خلالها إلى التعريف بالتداولية كمصطلح ظهر حديثا خاصة عند اللسانيين الغربيين، وكمنهج يمكن الاستعانة به في مجال التحليلات اللسانية الخطابية وحتى النصية منها .

1-تعريف التداولية والمنهج التداولي :

تعددت المصطلحات العربية المقابلة للمصطلح الأجنبي (pragmatique) فمن الباحثين في هذا المجال من يفضل تعريب المصطلح فسموها :البراغماتية أو البراغماتيك، ومنهم من يفضل ترجمة المصطلح إلى: التداوليات أو المقامية أو السياقية أو الذرائعية أو النفعية... ،ومنهم من يطلق عليها اسم: علم التخاطب أو علم الاستعمال كترجمة حرفية للمصطلح .[1]

---

[1] – ينظر :مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت / لبنان، ط :2005/1 ، ص 15 .

أما إذا بحثنا عن الجذر اللغوي لمصطلح التداولية فإننا نجده ينحدر من الجذر الثلاثي (دول) والذي يقابله في المعاجم العربية تعريفات متقاربة، فقد جاء في الجزء الأول من معجم **أساس البلاغة** لصاحبه أبي القاسم الزمخشري :" دَالَتْ لَهُ اَلْدَّوْلَةُ، ودَالَتْ اَلْأَيَامُ بِكَذَا. وَأُدِيلَ اَلْمُؤمِنُونَ عَلَى اَلْمُشْرِكِينَ يوم بَدْرٍ، وَأُدِيلَ اَلْمُشْرِكُونَ عَلَى اَلْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ... والله يُدَاوِلُ اَلأَيَامَ بين اَلْنَّاسِ مَرَّةٌ لَهُمْ ومَرَّةٌ عَلَيْهِمْ .وَالْدَّهر دُوَلٌ وعُقَبٌ وَنُوَّبٌ وتَدَاوَلُوا الشَّيءَ بيْنَهُمْ. وَالمَاشِي يُدَاوِلُ بين قَدَمَيْهِ :يُرَاوِحُ بيْنَهُمْ ....."[1]

كما نجد نفس المعنى جاء في الجزء الثاني من **لسان العرب** لابن منظور: "دَالَتْ اَلْأَيَّامُ أَيْ دَارَتْ ...وَ تَدَاوَلَتْهُ اَلْأَيْدِي أَخَذَتْهُ هَذِهِ مَرَّةً وَهَذِهِ مَرَّةً،وَدَالَ اَلْثَّوْبُ يَدُولُ أَيْ بَلِيَ."[2]

والملاحظ من خلال هذين التعريفين أن معاني هذا الجذر تدور في مجملها حول معنى التغيير والتحول أو التعاقب الذي يحدث للأشياء سواء المادية أو المعنوية.

ولقد تعددت تعريفات التداولية في المصنفات اللسانية وتباينت حسب اتجاهات أصحابها الفكرية؛ حيث من المعروف أن الدرس التداولي نشأ في أحضان الفلسفة التحليلية ،وقد تولّد عن مجموعة من النظريات التي تشير إلى أن اللغة نشاط إنساني يمارس ضمن سياق متعدد الأبعاد: لساني، سيميائي، وحتى فلسفي .

وقد دارت جل التعريفات الأولى لهذا المصطلح حول فكرة واحدة مفادها :أن التداولية هي دراسة لعلاقة اللغة بمستعمليها؛ أي دراستها من خلال المقام الذي قيلت فيه، وبتطور الدراسات في هذا المجال ازدادت المحاولات من أجل وضع تعريف شامل ووافٍ للتداولية، حيث من المعروف أن أول من أشار إلى الجانب التداولي في تفسيره للعلاقة بين الدال والمدلول هو

---

1) – أبو القاسم الزمخشري : أساس البلاغة، ج 1، تح : محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت / لبنان، ط 1 /1998، (مادة دول)

2)– ابن منظور، لسان العرب، ج2، تح : يوسف الخياط، دار لسان العرب، بيروت، د.ط / د.ت، (مادة : دول)

شارل بيرس(1914-1839م)،فقد عرفها بما ملخصه أنها دراسة لعلاقة العلامات بمستعمليها ؛أي دراسة اللغة أثناء ممارستها إحدى وظائفها الإنجازية والحوارية والتواصلية.(1)

كما أشار **كارناب carnap** (1942) إلى وجود ثلاثة أبعاد للبحث السيميولوجي فيقول: "إذا أحلنا في بحث ما على الذات المتكلمة بشكل ظاهرة أو أحلنا على العموم، على المستعمل للسان، فإن البحث ينتسب إلى ميدان التداولية ...و إذا غضضنا الطرف عن المستعمل اللسان محللين التعابير وما تعنيه لا غير، فإن الذي نحن فيه هو حقل علم الدلالة، وإذا غضضنا الطرف أخيرا عن المعنيات محللين العلاقات بين التعابير لا غير، فإن الحقل الذي نحن فيه هو حقل التركيب(المنطقي)."(2)

ومن خلال هاذين التعريفين نلاحظ الاتفاق بينهما على كون العنصر التداولي عنصر هام من عناصر الدال والذي هو أداة مساعدة لا غنى عنها في تفسير الدلالة.

أما **فان دايك** فتعد التداولية بالنسبة له: وصفا للعلاقات بين العلامات ومستخدمي العلامات؛ حيث يختص هذا العلم بتحليل الأفعال الكلامية ووظائف المنطوقات اللغوية وسماتها وعمليات الاتصال بوجه عام.(3)

ويَعُدُّ **دومينيك منغنو** حصرَ مفهوم التداولية أمرا معقدا للغاية ،خاصة عند تلاقي عدة تصورات من مصادر متشبعة ،ذلك أن التداولية اتجاه جديد في العلوم اللسانية، وهي تعنى باستدعاء اعتبارات حول اللغة جد قديمة، إضافة إلى اهتماماتها بالمقام والتواصل والتي هي أجزاء موجودة مسبقا في الدرس اللغوي. أما رؤيته للتداولية فيفسرها بقوله: "إن التصور التداولي يتعارض جذريا مع الفكرة القائلة بأن اللغة آلة (Instrument) لنقل وتوصيل المعلومات ،فالتداولية من الأولويات التي تجعلها في مقدمة نشاطاتها هو الطابع التفاعلي للممارسة

---

(1)- ينظر :نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب القاهرة/ مصر، د ط/2004، ص166

(2)-مارسيلو داسكال، الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة، تر : حميد الحميداتي وآخرون، منشورات إفريقيا الشرق الدار البيضاء / المغرب، د ط / 1987، ص23

(3)-ينظر : فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر : سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب /جمهورية مصر العربية، ط:1 / 2001، ص 114- 115

اللغوية، كما أنها تصحح وتصوب مجمل حالة التلفظ.... إلخ، وأشياء أخرى تصب كلها في مجال تحليل الخطاب ."[1]

كما تعرف التداولية بأنها :" اتجاه في الدراسات يعنى بأثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب، ويتبع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ، ولاسيما المضامين والمدلولات التي يولدها الاستعمال في السياق وتشتمل هذه المعطيات على:

- معتقدات المتكلم ومقاصده وشخصيته وتكوينه الثقافي ومن يشاركه في الحديث اللغوي.
- الوقائع الخارجية ومن بينهما الظروف المكانية والزمانية والظواهر الاجتماعية المرتبطة باللغة
- المعرفة المشتركة بين المتخاطبين وأثر النص الكلامي فيها."[2]

وقد أبدى الباحثون العرب اهتماما كبيرا بهذا المنهج الجديد وحاولوا الإدلاء بدلوهم في ما يخص تعريفه وتطبيقاته ومن ذلك نذكر محاولة الدكتور **مسعود صحراوي** الذي يرى أن التداولية " لا تعد علما لغويا محضا، بالمعنى التقليدي ولا علما يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة ،ولكنها علم جديد للتواصل يدرس ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره ."[3]

وبعد هذه المحاولات في ضبط التداولية ووضع تعريف لها يمكن أن نستخلص الوظيفة الأساسية لها والتي تكمن في "استخلاص العمليات التي تمكن الكلام من التجدر في إطاره الذي يشكل الثلاثية الآتية:

---

(1)- نور الدين خيار ،الخطاب القصصي القرآني دراسة أسلوبية تداولية.،قصة يوسف عليه السلام أنموذجا، مذكرة معدة لنيل درجة الماجستير، إ : الطاهر لوصيف، جامعة الجزائر، 2004/2003، ص 194

(2)- مؤيد آل صونيت، التداولية المفهوم والمنشأ، مذكرة معدة لنيل درجة الماجستير ، الجامعة المستنصرية كلية الآداب – العراق، ص 32

(3)- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 16

(المرسل، المتلقي، الوضعية التبليغية). وأن أي تحليل تداولي يستلزم بالضرورة التحديد الضمني للسياق الذي تؤول فيه الجملة."(1)

وما يمكن ملاحظته من خلال كل هذه المحاولات في تعريف التداولية وضبط مفهومها هو تكرار الألفاظ التالية: اللغة –الاستعمال–المستعملين –الخطاب والمخاطب– أفعال الكلام. والتي من خلالها يمكننا أن نضع مفهوما للتداولية يوضح اهتماماتها ووظيفتها وهو كونها: تلك الدراسة للألفاظ والمعاني التي يضمنها المخاطب في كلامه، وكيفية تفسيرها وفهم المخاطَب لها بمراعاة المقام والسياقات التي نشأ فيها القول،أي أثناء الاستعمال، ذلك أن التداولية تفترض أن كل حدث تواصلي بين طرفين لابد أن يحمل في طياته فعلا كلاميا يمكن إخضاعه للدارسة .

هذا عن التداولية كعلم أو نظرية، أما عن المنهج التداولي وتطبيقاته على الخطاب، فقد يعتقد بعض الباحثين أن القول بالمنهج أو النظرية أمرا غير مقبول أو سابقا لأوانه على الأقل ،ذلك أن الأبحاث فيه لم ترق بعد إلى درجة بناء نمط إجرائي ونظري متكامل ومتفق عليه بين اللغويين بشكل منسجم على غرار البنيوية والسيميائية ...،و لأن هذا الدرس لا يزال حديث العهد، غير أن كثرة تناول البحوث الأكاديمية له بالمقاربات والإجراءات التطبيقية جعلت منه واقعا، وإن لم تتفق على الخطوات التي يجب إتباعها فيه، ومع ذلك نجد أن جل الاجتهادات في هذا الإجراء التحليلي كانت متقاربة فيما ذهبت إليه من خطوات شملت الجوانب الأساسية للدرس التداولي والتي هي:

-تحليل الحدث (الفعل) الكلامي- الوظائف التداولية (المقصدية- الحجاج)

ويمكن تعريف هذا المنهج على أنه:" وسيلة متكاملة ومتداخلة الإجراءات بشكل عبر تخصصي يمنحه ثراءا على مستوى الإجراء والنتيجة، ولاسيما بتطبيقه على مستوى النصوص

---

(1)- نور الدين خيار ،الخطاب القصصي القرآني دراسة أسلوبية تداولية، ص 195

التراثية لما فيها من مستويات مقامية وتشخيصية، وتوفرها على مساحات شاسعة من الطبقات الكلامية (مستويات أفعال الكلام) على اعتبار هذه الأخيرة مبحثا مهما من مباحث التداولية".[(1)]

ثم إن المنهج التداولي يهتم في مقاربته للنصوص- حسب الدكتور صلاح فضل- بالخطاب وفاعله(منشئه)، فعلى التحليل أن يشمل كل ما يشير إليه النص من موقف الفاعل الداخلي تجاه قوله ....وبهذا فإن النص يقَدم دائما متصلا بفاعله (بشكل مباشر أو غير مباشر)، يعبر فيه إما عن رأيه أو يشير إلى تجربة أو حدث متعلق به،أو متصلا بوقائع ومعارف موضوعية بعيدة عن القائل.[(2)]

وبالاستناد إلى ما سبق فالتحليل التداولي لا يعتمد في مقاربته للنصوص على المستويات اللغوية الداخلية المعروفة في باقي المناهج اللسانية الأخرى (المستوى الصوتي- الصرفي- التركيبي-المعجمي......)بصفة مطلقة، بل إن هذا المنهج يستوعبها جميعا ويحاول الولوج من خلالها إلى عناصر السياق المرتبطة بالخطاب والمزج بينهما(المستويات الداخلية للغة+السياق)، وبالتالي فتحليل الخطاب حسب المنهج التداولي يجب أن يشتمل على عنصرين أساسيين هما عماد المقاربة التداولية:

- دراسة البنية الداخلية والمتمثلة في تحليل أفعال الكلام وتصنيفها حسب إنجازاتها وفق التصنيفات التي أوردها أوستن وسيرل.
- دراسة البنية الخارجية للخطاب من خلال تحديد الوظائف التداولية التي يحملها في طياته (مقاصد الكلام –الحجاج).

---

(1)- هاجر مدقن، آليات تطبيق المنهج التداولي على النص التراثي، الملتقى الوطني الأول في الاتجاهات الحديثة في دراسة اللغة والأدب، جامعة قاصدي مرباح /ورقلة – الجزائر، أكتوبر 2011 ، ص 83 .

(2)- ينظر صلاح فضل بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة / الكويت، د ط / 1992، ص 90

2-أهمية التداولية ومهامها:

تتبع أهمية التداولية من محاولتها دراسة اللغة في عالمها الحقيقي وهو الاستعمال حيث يحمل كل دال العديد من المدلولات التي تتغير وتتلون تبعا لعناصر الرسالة (المرسل-السياق-المتلقي)، إضافة إلى عوامل أخرى ثانوية في تأثيرها .

حيث تهتم التداولية واللسانيات النصية -بشكل عام-بالخطاب ومناحيه النصية: القصد والحجاج والتضمين...،ويركز المنهج التداولي على أسئلة هامة تعتبر الأساس الذي يبني عليه نتائجه وهي:

أ- إلى أي مدى تنجز الأفعال الكلامية تغيرات معينة وبخاصة لدى الآخرين ؟

ب- من يتكلم؟و إلى من يتكلم؟وماذا نقول عندما نتكلم؟ وما هو مصدر التشويش والإيضاح؟ كيف نتكلم بشيء ونريد قول شيء آخر؟ (1)

ثم إن هذا الاتجاه الجديد قد أعطى للدراسة اللسانية نقلة نوعية حيث جعلها تتجاوز دراسة البنيات الصوتية والنحوية والدلالية في الخطاب إلى البحث في الآثار الاجتماعية والإنجازية للغة. فأصبحت اللغة في ظل هذا التحول فضاء الإنجاز والممارسة والفعل – هذا ما سعى إليه وبينه أهم أعلام التداولية أوستن في كتابه (كيف ننجز الأشياء بالكلمات : How to do thing with words).(*)

ومنه فنظرية أفعال الكلام تعد دراسة نسقية للعلاقة بين العلامات ومؤوليها حيث يتعلق الأمر بمعرفة ما يقوم به مستعملو القول،و أي فعل ينجزون باستعمالهم لبعض العلامات، وقد بين أوستن في كتابه أننا حين ننطق بأفعال معينة فإننا نقوم بأفعال كلامية، وهي في حقيقتها أفعال اجتماعية .ومنه فوظيفة اللغة لا تتوقف عند حدود إيصال المعلومات أو الوصف أو التعبير عن الفكر -كما كان متداولا في المناهج السابقة -وإنما هي كما بين **أوستن** مؤسسة

---

(1)- ينظر فان دايك، علم النص، ص 131

(*)- ج. ل. أوستن (1911- 1960) أستاذ فلسفة الأخلاق بجامعة أوكسفورد، يعد مؤسس نظرية أفعال الكلام، جمعت محاضراته ونشرت بعد وفاته سنة 1962 .

على تحويل الأقوال على أفعال لغوية ذات صبغة اجتماعية معينة. تحدد بالسياق الذي ترد فيه.[1]

ثم إن أهمية التحليل التداولي ترجع إلى قصور التحليل التركيبي الذي يهتم بالشكل اللغوي والتنظيمي للخطاب وآليات بناءه، وقصور التحليل الدلالي أيضا على سبر أغوار الخطاب، ذلك أن التحليل الدلالي يعني كثيرا بالدلالات الناتجة عن شكل وبناء الخطاب وبذلك فهما يقتصران على البنية الداخلية له، وينظران له على أنه دائرة مغلقة معزولة عن كل الظروف الخارجية التي ساهمت في تكوينه إلى حد كبير، فكان من الضروري اللجوء إلى نوع ثالث من التحليل يعطي صورة مكملة لما يقدمه التحليل التركيبي والدلالي حتى تكون الدراسة كاملة. وهو التحليل التداولي والذي يسعى للإجابة عن السؤال لماذا؟؛ أي لماذا أنتج الخطاب ؟ وما هي غاياته؟.

ومن المهمات الأساسية للتداولية " إبراز النشاط التفاعلي للغة، وبالأخص التفاعل في الحديث(أثناء الكلام). فلكي نتحدث عن تفاعل موقف يجب الحديث بقيود زمانية ومكانية محددة . ويتوقف إلى حد ما على الأحداث المترابطة، فهذه الشروط العامة للتفاعل لها أهمية من الناحية الاجتماعية ومن ناحية اكتساب معرفة عامة بالنسبة للأشخاص المتحدثين الذين لديهم سلسلة من الحقوق والواجبات المتبادلة التي تبرزها أو تحددها أحداث التفاعل."[2]

إضافة إلى ما سبق نجد من مهام التداولية أيضا دراسة اللغة أثناء التلفظ بها في السياقات والمقامات المختلفة، ذلك أن: " التلفظ هو النشاط الرئيسي الذي يمنح استعمال اللغة طابعها التداولي "[3]، فهو ينقل اللغة من الوجود الواقعي الفعلي، من خلال الممارسة الفعلية (الإنجازية)التي على أساسها يتحدد القصد والغرض من الكلام.

---

(1)- ينظر : عبد الحليم بن عيسى، المرجعية اللغوية في النظرية التداولية، مجلة دراسات أدبية، مركز البصيرة للبحوث – الجزائر، ع 1 / ماي 2008، ص 12

(2)– نور الدين خيار،الخطاب القصصي القرآني دراسة أسلوبية تداولية، ص 194

(3)– عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة/ بيروت، ط: 1/ 2004،ص 27

وقد أشار **فان دايك** إلى هذه المهمة من مهام التداولية بقوله:" والفكرة الأساسية في التداولية هي أننا عندما نكون في حالة التكلم في بعض السياقات فنحن نقوم أيضا بإنجاز بعض الأفعال الاجتماعية، وأغراضنا ومقاصدنا من هذه الأفعال."[1]

وإضافة إلى ذلك يشير **فان دايك** إلى مهام أخرى من مهام التداولية في قوله:" أنها تتيح صياغة شروط إنجاح إنجاز العبارة، وبيان أي جهة يمكن بها أن يكون مثل هذا الإنجاز عنصرا في اتجاه مجرى الفعل المتداخل الإنجاز، الذي يصبح بدوره مقبولا أو مرفوضا عند فاعل آخر. وبهذا الاعتبار فإن المهمة الثانية تقوم في صياغة مبادئ تتضمن اتجاهات مجاري فعل الكلام – المتداخل الانجاز الذي ينبغي أن يستوفى في إنجاز العبارة حتى تصبح ناجحة . والمهمة الثالثة: أنه لما كانت معطيات التجربة متاحة بأوسع ما تكون في صورة العبارة فقط فيجب أن يكون من الواضح في التداولية كيف تترابط شروط نجاح العبارة كفعل إنجازي، وكمبادئ فعل مشترك للإنجاز التواصلي مع بنية الخطاب وتأويله." [2]

وبهذا فإن **فان دايك** يدعو إلى الانفتاح على كل ما يحيط بالفعل الكلامي من سياقات من أجل الوصول إلى نجاح الرسالة التواصلية.

ومن المهام الأساسية للدرس التداولي والتي يسلط عليها **فان دايك** الضوء في هذا النوع من الإجراءات "شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات" [3]، ذلك أن التداولية تقوم في تحليلها للخطاب بدراسة القواعد التي تمكن المتكلم من إحكام صياغة عباراته اللغوية وما تحويه من أفعال بما يستجيب لغرضه من الرسالة والمقام الذي صيغت

(1)– فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر : عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق / المغرب، د ط / 2000، ص 292

(2)– فان دايك، المرجع نفسه، ص 293

(3)– مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 27

له.كما تسعى لبيان كيف يمكن للتواصل الضمني (غير الحرفي) أن يكون في الاستعمال أفضل من التواصل الحرفي المباشر.[1]

وتبقى أهم غاية تسعى إليها التداولية والتي نشأ لأجلها هذا الإجراء اللغوي هي دراسة الأفعال الإنجازية واستخراج مقاصد الكلام لتيسير التواصل، وضمان نجاح الرسالة اللغوية بين المرسل والمستقبل وإظهار مدى الانسجام التواصلي بين أطراف العملية التواصلية .

(1)- ينظر : مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب ، ص 27

ثانيا: المجاز

من المؤكد لدى كل المشتغلين باللغة العربية أن المجاز يعتبر عنصر جمال ومكمن قوة فيها-أي اللغة-، بل يعده البعض مقياس تميز وعنصرا للتحدي في المجال الأدبي ،فكلما كان الكاتب أو الشاعر أكثر قدرة على صنع المجازات والتصوير كان أكثر تمَيزا عن غيره في البراعة الأدبية وتوصيل مراده.

والمصنفات الأدبية واللغوية التي تمتلئ بها المكتبة العربية حافلة بما يدهش القارئ المتمكن من حسن التصوير وروعة المجازات خاصة ما جاء منها في الكتاب المنزل وفي الأحاديث الشريفة المنقولة عن سيد الخلق عليه أفضل الصلاة والتسليم.

ولقد كانت هذه الظاهرة اللغوية قضية جدلية أثارت العديد من الخلافات بين علماء التفسير والفقهاء، فمن العلماء من أنكر هذه الظاهرة في مصادر التشريع (القرآن الكريم والحديث الشريف) وحتى في اللغة بوجه عام. ومنهم من أجاز وأكد على هذه الطاهرة وأثبتها بأدلة قطعية، وبهذا انقسم العلماء في قضية المجاز إلى مذهبين:

- مذهب المجيزين: يرى أصحاب هذا المذهب أن المجاز واقع في اللغة العادية وفي لغة النص القرآني والحديث النبوي، وهو مذهب جمهور العلماء، والذين نذكر من بينهم: سيبويه والمبرد وابن جني من أهل اللغة، الجرجاني عبد القاهر والقزويني من أهل البلاغة، والطبري والزمخشري من أهل التفسير، والإمام الغزالي وابن حزم الظاهري والآمدي وابن النجار الحنبلي من أهل الفقه وأصوله .
- مذهب المانعين : ويرى أصحابه بمنع المجاز مطلقا في اللغة العادية ولغة القرآن الكريم، وإلى هذا المطلب ذهب القلة من العلماء، وأبرزهم على الإطلاق : الإمام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم الجوزية.[1]

---

(1)- ينظر :عبد العظيم إبراهيم المطعني، المجاز في اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع، مكتبة وهبة / مصر، ط 1 / 1985 ص 12.

و لهذا يؤرخ لأصحاب هذا المذهب بالأسبقية أو التبعية لهما كما يلي:

- المانعين قبل ابن تيمية
- المانعين بعد ابن تيمية:و أشهرهم: ابن القيم- كما أسبق الذكر- والشيخ الشنقيطي.[1]

لكن هذه التقسيمات تبقى قيد التأرجح بين الشك واليقين لأن الكثير من الباحثين نسبوا إلى هذه الطائفة أو تلك بأدلة واهية، وإذا عدنا إلى أقوالهم ومصنفاتهم وتأويلاتهم للآيات وجدناها تتعارض مع هذا التقسيم سواء كان من طائفة المانعين أو المجيزين.

وقد قام كل فريق من المذهبين بالتدليل على أقوالهم بالعديد من الأدلة والشواهد لتأكيد ما ذهبوا إليه في آراءهم ،غير أن الغلبة كانت لفريق المجيزين والذي اتبعه جل العلماء مؤكدين بذلك وجود المجاز في اللغة والذي على أساسه بنوا آراءهم وأحكامهم الفقهية والتشريعية.

ونحن في هذا الصدد سنتناول تحليلاتهم لهذا المجاز ودراستها بآليات المنهج التداولي والذي ظهرت أدواته -عفوا- ودون تنظيم منهجي في أبحاثهم وتفسيراتهم . وقد تمثل ذلك في استعمالهم للعديد من المصطلحات التي هي من اختصاص الدرس التداولي واللساني عموما، كالمخاطب والمتكلم والتواصل والخطاب والسياق... ،إضافة إلى اعتمادهم لطرق معينة في المحاججة وكلامهم عن المقصدية وغير ذلك من المسائل.

وبما أن دراستنا تتناول ظاهرة المجاز- والتي هي ظاهرة مشهورة في اللغة نظرا لما وضع فيها من مصنفات مختلفة- لابد لنا من لمحة تذكيرية مختصرة تتناول هذه الظاهرة بالتعريف والإيضاح قبل الانطلاق في الدراسة التطبيقية.

(1)- ينظر فهرس كتاب : عبد العظيم إبراهيم المطعني، المجاز في اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع .

1-تعريف المجاز:

تنقسم البلاغة إلى ثلاثة أبواب (علوم)مختلفة تمثل أهم المحاور التي تحرص على إظهار جمال الكلام وبلاغته وهي: علم المعاني- علم اللسان- علم البديع.

فالباب الأول يعنى بما يحمله الكلام من دلالات، والباب الثاني يعنى بطرق الصياغة لهذه المدلولات، والباب الثالث يختص بجماليات الكلام ومحاسنه اللفظية والمعنوية.

يصنف المجاز في الباب الثاني من هذه الأبواب وهو باب البيان، حيث يعد أحد ثلاثة طرق يصاغ بها اللفظ وهي: المجاز- الاستعارة – الكناية.

وقد تناول اللغويون ظاهرة المجاز- إما بالتصنيف أو بالتعريف- منذ البدايات الأولى لعصر التدوين، ذلك أن هذا المصطلح لم يكن قد وضع بمعناه الاصطلاحي الذي هو عليه إلا في العصر العباسي على يد عبد القاهر الجرجاني.

ثم إن المجاز في اللغة من الجذر الثلاثي جاز، فيقال: جزت الطريق وجاز الموضوع جوازا، وجاز به وجاوزه وأجازه غيره... ،وجازه: سار فيه وسلكه، وجاوزت الموضع جوازا بمعنى جزته، والمجاز والمجازة: الموضع.

والمجاز اسم للمكان الذي يجاز فيه كالمزار وأشباهه، وحقيقته هي الانتقال من مكان إلى آخر. وأخذ هذا المعنى واستعمل للدلالة على نقل الألفاظ من معنى إلى آخر.(1)

ثم إن لفظ المجاز- إضافة إلى ذلك –له ثلاث معان فهو" يستعمل بمعنى زمان وقع فيه الحدث فيكون اسم زمان، ولم يقل به أحد، أو يستعمل بمعنى الحدث الذي هو الجواز فيكون مصدرا أساسيا بمعنى الجواز أي الانتقال من حال إلى غيرها مبالغة في جوازه من مكانه الأصلي حتى كأنه هو الجواز، حيث نصبت له قرينة مانعة عن إرادة الموضع له."(2)

(1)- ينظر أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج 3، مطبعة المجمع العلمي العراقي، / العراق، د ط / 1983، ص 193

(2)- محمد بدري عبد الجليل، المجاز وأثره في الدرس اللغوي، دار المعرفة الجامعية / مصر، 2003، ص 39 - 40

ولقد نال المجاز –منذ ظهوره– عناية الكثير من اللغويين والبلاغيين الذين حرصوا على وضع تعريفات محددة وضابطة له، اختلفت في لفظها لكنها اتفقت في مضمونها.

ولقد كان أسلوب الحقيقة والمجاز معروفا ومستعملا في كلام العرب قبل أن يتناولوه في دراساتهم اللغوية بهذا التقسيم الذي أشتهر في المئة الرابعة للهجرة. وأول من استعمل لفظ المجاز– بما هو مقارب له في ما يدل عليه– أبو عبيدة معمر بن المثنى(ت 210 هـ) في كتابه الذي سمي(مجال القرآن) والذي " عالج فيه كيفية التوصل إلى فهم المعاني القرآنية باحتذاء أساليب العرب في كلامهم وسننهم في وسائل الإبانة عن المعاني .ولم يعن بالمجاز بما هو قسيم الحقيقة، وإنما عَني بمجاز الآية ما يُعبر به من الآية."(1) ومع هذا فإن في كتابه تخريجات مجازية وقد أتى في الأمثلة التي أوردها مجازات تنطوي تحت المجاز المرسل دون أن يذكره بالاسم، ويتضح ذلك بجلاء في عدد من الأمثلة التي أوردها والتي منها:

- قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ يوسف(الآية :82): أي اسأل من في القرية .
- وقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ البقرة(128):أي علمنا.
- وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ الأنعام(6)أي أنزلنا وأمطرنا(2).

(1)– أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج 3، ص 193.

(2)– ينظر، معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تح : محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي بالقاهرة / مصر، د ط / د ت، ص 75

وبعد أبي عبيدة نجد المجاز ظاهرا في مؤلفات **الجاحظ** (ت255م) والذي تحدث عنه بوضوح، " وخرج به من دائرة التفسير إلى مجال البلاغة، إلا انه لم يشر إلى المجاز المرسل صراحة"[1] وتظهر إشارة الجاحظ إلى المجاز من خلال تعليقاته على الآية : ﴿**الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما** ﴾(النساء(10) حيث قال:" وقد يقال لهم ذلك وإن شربوا بتلك الأموال الأنبذة، ولبسوا الحلل، وركبوا الدواب، ولم ينفقوا منها درهما واحدا في سبيل الأكل.....وقوله تعالى ﴿**إنما يأكلون في بطونهم نارا** ﴾ (النساء(10) هذا مجاز آخر." [2] إضافة إلى كثير من الإشارات الأخرى التي ظهرت في شرحه لبعض الآيات.

وبعد مرحلة الإشارات أخذ المجاز يظهر بصورة أوسع عند العلماء والبلاغيين الذين حاولوا ضبطه وتعريفه حيث قال عنه **ابن قتيبة** (ت276هـ) وللعرب مجازات في الكلام، ومعناها طرق القول ومأخذه. ففيها الاستعارة والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير، والحذف، والتكرار... ويرى **ابن قتيبة** أن لا أحد يستطيع ترجمة القرآن الكريم، لأن العجم لم تتسع في المجاز اتساع العرب[3].

واستمرت المحاولات من قبل الدارسين العرب والاجتهادات من أجل توضيح المجاز وتعريفه حتى جاء **الجرجاني عبد القاهر**(ت471هـ) ليضع لهذا الباب حدا مضبوطا وتعريفا شاملا له، حيث يرى أن " كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز، وإن شئت قلت كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى عالم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعا لملاحظة بين ما تجوز بها إليه، وبين أصلها الذي وضعت له في وضعها فهي مجاز."[4]

(1)– يوسف أبو العدوس، المجاز المرسل والكناية، مكتبة الأهلية / عمان، الأردن، د ط / 1998، ص 19 – 20 .

(2)– الجاحظ، الحيوان، ج 5، تح : عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي بيروت / لبنان، ط3/ 1969، ص 25

(3)– ينظر : يوسف أبو العدوس، المجاز المرسل والكناية، ص 21.

(4)– صالح بلعيد، نظرية النظم، دار هومة / الجزائر، د ط / 2002، ص 156 .

وبهذا عُد **عبد القاهر الجرجاني** أول واضع لباب المجاز، لأن السابقين له حصروا اهتمامهم في لون واحد من المجاز وهو الاستعارة على غرار كل من **ابن المعتز وأبي هلال العسكري**. ولقد تتالت التعريفات بعد عبد القاهر لكنها دارت كلها على نفس المعنى الذي وضعه . فهذا **ابن رشيق القيرواني**(ت456هـ) يعرفه بقوله: " المجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقعا في القلوب والأسماع، وهو ما عدا الحقائق من جميع الألفاظ، ثم لم يكن محالا محضا فهو مجاز، لاحتماله وجوه التأويل، فصار التشبيه والاستعارة وغيرهما من محاسن الكلام، داخلة تحت المجاز، إلا أنهم خصوا بالمجاز بابا بعينه وذلك أن يسمى الشيء باسم ما قاربه أو كان منه بسبب."(1)

وعلى نهج سابقيه سار **السكاكي**(ت626هـ) حيث عرّف المجاز في مفتاحه، بقوله "أما المجاز فهو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالا في الغير، بالنسبة إلى نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة من إرادة معناها في ذلك النوع."(2)

وهكذا نرى اتفاق الدارسين على تعريف المجاز بأنه اللفظ المستعمل في غير ما وضع له أصلا مع وجود قرينة مانعة لإيراد المعنى الحقيقي .

2-أقسام المجاز:

إن جهود **عبد القاهر الجرجاني** في هذا الباب كانت الأساس الذي بنى عليه من أتى بعده مفاهيمهم وتقسيماتهم للمجاز،لكنهم لم يضيفوا عليها شيئا ذا بال، بل أغرقوا مؤلفاتهم بالتقسيمات المنطقية المملة وأفقدوها روحها الفنية الجذابة. ويظهر ذلك واضحا في **مفتاح العلوم للسكاكي**، حيث قسم المجاز إلى قسمين أساسيين هما:

(1)-علي بو ملجم، في الأسلوب الأدبي، دار مكتبة الهلال بيروت / لبنان، د ط / 2000، ص 10 .
(2)- السكاكي، مفتاح العلوم، تح : نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت /لبنان، ط 1 / 1983، 359.

أ – <u>المجاز العقلي</u>: والذي يعرفه بأنه : " الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم ،لضرب من التأويل فيه، إفادة للخلاف لا بواسطة وضع، كقولك شفى الطبيب المريض، وكسى الخليفة الكعبة، وهزم الأمير الجند." (1)

ومنه فالمجاز العقلي هو إسناد الفعل أو اللفظ إلى غير ما هو له، لعلاقة بينهما مع وجود قرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي، ويرجع هذا الإسناد المجازي إلى عدة أنواع من العلاقات هي: السببية، الزمانية، المصدرية....(2)

ب – <u>المجاز اللغوي</u>: ويكون بنقل الألفاظ من حقائقها اللغوية إلى معان أخرى بينهما صلة ومناسبة، وهذا المجاز يكون في المفرد كما يكون في التركيب(على عكس المجاز الحكمي(العقلي) الذي لا يكون إلا في التركيب المستعمل لغير ما وضع له.(3) وله أنواع هي:

- المجاز المرسل:" ويسمى بالمجاز الإفرادي وهو ما كانت العلاقة بين ما أستعمل فيه وما وضع له ملابسةً غير التشبيه، كاليد إذا استعملت في النعمة، لأن من شأنها أن تصدر عن الجارحة، ومنها تصل إلى المقصود." (4)

وبهذا المجاز المرسل هو مجاز لغوي راجع إلى المعنى المفيد الخالي من المبالغة في التشبيه.

إن هذا النوع من المجاز يعد من أعقد المسائل البلاغية وأكثرها جدلا وتكلفا، لأنه يقوم بنقل الألفاظ من معانيها المستعملة إلى معان أخرى قد تكون بعيدة كثيرا عن أصلها . ويسمى هذا النوع من المجاز مرسلا لأنه لم يقيد بعلاقة المشابهة ويقوم على علاقات شتى منها: السببية، الكلية، العموم.....(5)

---

(1)– زين كامل الخويسكي وأحمد محمود المصري، فنون بلاغية، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1 / 2006م، ص38

(2)– ينظر : عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية ، بيروت، د.ط / د.ت ، ص 147.

(3)– ينظر عبد العزيز عتيق، المرجع نفسه، ص 143

(4)– حسني عبد الجليل يوسف، التمثيل الصوتي للمعاني، الدار الثقافية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1998/1م، ص 27

(5)– ينظر : يوسف أبو العدوس، المجاز المرسل والكناية، ص 34

●الاستعارة: والاستعارة- أيضا- مجاز لغوي، لأن اللفظ فيها يستعمل لغير معناه الموضوع له، وقد اشتهرت بين البلاغيين لأنها كما يقول عنها **الجرجاني:** " أمد ميدانا، وأكثر جريانا، وأعجب حسنا وإحسانا..." (1)

وتتقسم الاستعارة-كما هو معلوم- إلى قسمين من حيث ذكر أحد طرفيها وهما: الاستعارة التصريحية والاستعارة المكنية.

وهذه التقسيمات هي التي اتفق عليها البلاغيون وضبطوا بها باب المجاز ،إلا أنها تبقى تقسيمات عمومية نظرية ذلك أن الصور المجازية متعددة ومتنوعة حسب نوع العلاقة التي يقوم عليها نقل الألفاظ . وبما أن دراستنا لغوية، فإن اهتمامنا سينصب على المجاز اللغوي بعيدا من المجاز العقلي ومتاهاته التأويلية ولأن طبيعة المدونة (القرآن الكريم) تحد من حريتنا في التأويل.

ولقد أولى الباحث المصري الإمام **أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الشافعي** عناية بالغة بالمجاز اللغوي في القرآن الكريم وأفرد له كتابا سماه(**الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز**) والذي يسمى أيضا: مجاز القرآن، ووضع فيه أقسام المجاز وأنواعها حسب العلاقات المتحكمة في انتقال الألفاظ.

ويقدم الكاتب في مؤلفه تعريفا موجزا للمجاز يلخص ما عرفته أبحاث البيان في البلاغة، ثم يقدم بعض الأمثلة ويشرع مباشرة في استعراض أنواع من التعليقات المصححة للمجاز ثم يسمي أسماء ما سيقدمه من فصول. وقد اشتغل في تقسيماته للمجاز بالمجاز اللغوي دون المجاز العقلي لأنه المجاز الذي اشتغل به الأصوليون ،أما المجاز العقلي فاعتبره من اهتمامات البيانيين.

(1)- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، في علم المعاني والبيان والبديع، دار الفكر، بيروت، ط1 / 2008م . ص 255 -256

وأول ما نلاحظه في تقسيم الكاتب وتعريفه للمجاز هو إيراده عنصر الحذف واعتباره على أنه من باب المجاز. حيث يدل على رأيه بقوله: ليس حذف المضاف مجازا في حد ذاته ،لأن للمجاز استعمال اللفظ في غير ما وضع له أولا، والكلمة المحذوفة ليست كذلك، وإنما التجوز في أن ينسب إلى المضاف إليه ما كان منسوبا إلى المضاف، كقوله تعالى﴿ **واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها**﴾ يوسف(82)؛ فنسبة السؤال إلى القرية والعير هو التجوز لأن السؤال موضوع لمن يفهمه فاستعماله في الجمادات استعمال للفظ في غير موضعه، فكونهما مسؤولين من جهة اللفظ دون المعنى هو المجاز.

ومصحح هذا المجاز ما بين أهل القرية وأصحاب العير من ملازمتهما، وشرط مجاز الملازمة أن تقع الملازمة في غالب الأمر، ولا يشترط عدم الانفكاك. [1]

وقد قدم الكاتب 17 نوعا من المحذوفات مع التمثيل لكل نوع وتبيين وجه المجاز فيه وهذه الأنواع هي:

-حذف المضافات- حذف المفعولات- حذف الموصوفات- حذف الأقوال- حذف الشروط - حذف أجوبة الشروط- حذف جواب لو- حذف القسم -حذف المبتدأ-حذف الخبر -حذف الأفعال العاملة- حذف المفاعيل- حذف ضمائر الموصول- حذف فعل الأمر- حذف الجملة- حذف الجمل الكثيرة.

وبعد الحذف يقدم **ابن عبد السلام** بابا في المجاز يبتدئه بالكلام عن الحقيقة والمجاز وكيف تكون الكلمة الواحدة جامعة لمدلولي الحقيقة والمجاز معا، ثم يبدأ بإفراد أنواع التجوز والتي قدمها في شكل فصول عددها (47) فصلا واعتمد في تقسيمها على العلاقة التي أنشئ عليها المجاز وانتقال اللفظ. ومثال ذلك: فصل في التجوز بلفظ العلم عن العلوم – فصل في التجوز بلفظ القول عن المقول فيه...

---

(1)- أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الشافعي، مجاز القرآن، تح:محمد مصطفى بن الحاج، ج 1،منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث، الجمهورية العظمى،ط1/ 1992، ص108- 109

والملاحظ على هذه الفصول أنها كانت مختصرة حيث يقدم لكل نوع ببعض الأمثلة ويكتفي بشرح مبسط لها وعد أنواعها إن وجدت، على أن يوسع في شرحه والتمثيل له، وقدم في كتابه ما عدده (109) نوعا من مجازات التشبيه والتي تقوم كما يدل اسمها على علاقة التشبيه، وهذا لكونه أكثر أنواع المجاز ورودا في اللغة وأيسرها على الفهم.

وبعد عده أنواع المجاز يقدم الكاتب إحصائه لمجازات سور القرآن الكريم سورة سورة مع شرح ميسر ومختصر لكل مجاز وإظهار لكيفية تجوزها. واعتمادا على إحصائه هذا سنبني هذه الدراسة في جزءها التطبيقي، وذلك تحرزا منا عن الوقوع في التأويل الخاطئ لبعض الآيات نظرا لقدسية النص(المدونة).

وقد عد الكاتب في سورة الكهف أكثر من 47 مجازا مختلفا حسب ما أورده ،وأتبع كلا منها بشرح مبسط. أما نحن فسنقوم بدراستها بناءا على المنهج التداولي وأدواته مستعينين بما جاء في كتب التفسير .

ثالثا: تداولية المجاز

أول سؤال يتبادر إلى الذهن عند قراءة عنوان البحث هو : ما علاقة الرابطة بين المنهج التداولي-الذي يعد منهجا حديثا ومعاصرا- وظاهرة المجاز التي هي ظاهرة بلاغية ضاربة بجذورها في الدرس اللغوي منذ القدم؟ والحقيقة أن الإجابة عن هذا السؤال ليست باليسيرة نظرا للخصائص المختلفة لكل من التداولية والمجاز. إلا أن هذا البحث سيحاول تقريب هذه العلاقة وتوضيحها بشكل علمي منهجي.

ولقد قام العديد من الباحثين بتناول هذه العلاقة بالدراسة ووضعوا فيها عددا من المحاولات كل حسب رؤيته، ومن تلك المحاولات نذكر المقال الذي أفرده الباحث الدكتور: حسين عودة هاشم في مجلة آداب ذي قار، والذي عنونه بـ(التداولية والمجاز) حيث قدم فيه نظرته حول نقاط التداخل بين هذين العنصرين والأسس المشتركة بينهما من حيث:

●الوضع اللغوي: حيث بين أن كل من التداولية والمجاز يشتركان في تفسير النصوص لأنهما: يبنيان على المعنى الأصلي أو الوضعي إلا أنه ليس المقصود، وأنهما يجتازان المعنى الحرفي ويعتمدان على السياق في تحديد معنى اللفظة.(1)

●القصد الكلامي: والذي يرى أنه يعتمد على الاستعمال والسياق في الوصول إلى كنهه.

●إلغاء قانون المرجعية والعلاقات المنطقية: ذلك أن الجملة المجازية تتجاوز هذا النوع من العلاقات وتخالف قانون المرجعية ومبدأ الإسناد، والتداولية من وظائفها تحديد هذا النوع من لغة الاستعمال وتحليله اعتمادا على السياقات اللغوية والمقامية ومقاصد المتكلم وحال المخاطب.(2)

●الافتراض المسبق: (وهو ما يقتضيه اللفظ ويفترضه إذ أنه في كل تواصل لساني لابد من أن يقوم على معطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم تشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقق النجاح في عملية التواصل)(3). وهذه الافتراضات التي تركز عليها التداولية هي عينها التي يقوم عليها المجاز في انتقاله باللفظ من معناه الوضعي إلى المعنى الجديد وإلا فلن يكون هذا المجاز مفهوما لدى المتلقي.

وقد قدم الدكتور حسين عودة هاشم خلاصة للبحث الذي وضعه حول التداولية والمجاز وعدد الألفاظ المشتركة بينهما كما يلي:

"- المجاز يعتمد على قضية الوضع اللغوي في تحديد ما هو حقيقي أو مجازي

-كلاهما يعتمدان قضية الوضع والأصل في اللغة.

---

(1)- ينظر، حسين عودة هاشم، التداولية والمجاز دراسة ابستيمولوجية، مجلة آداب ذي قار /العراق، العدد 5، مجلد 2 / شباط 2012، ص265

(2)- ينظر: حسين عودة هاشم، المرجع نفسه، ص 266

(3)- حسين عودة هاشم، المرجع نفسه، ص 266

-كلاهما لا يعترفان بالحدود المنطقية واللغوية.

- كلاهما يعتمدان على تحديد قصد المتكلم.

- كلاهما يعتمدان على أن للمتلقي افتراضات مسبقة." (1)

وهذا البحث على صغر حجمه قدم رؤية واضحة للعلاقة التي تربط كلا من المجاز والتداولية ،وهو يؤسس للفكرة التي يقوم عليها بحثنا هذا. كما نجد عددا من الباحثين الذين تناولوا بعض جوانب هذا الموضوع ونذكر من بينهم :الدكتور عبد الغني بارة (من جامعة سطيف) والذي قدم دراسة منهجية بعنوان مبدأ القصدية والطابع التداولي لخطاب الشابطي الأصولي نحو تأويل كلي، كذلك نجد بحثا بعنوان (بلاغة الحوار القرآني ووظيفته الحجاجية) للأستاذ الباحث الجزائري نور الدين دحماني من جامعة مستغانم ... والملاحظ أن هذه البحوث قد ركزت على جوانب جزئية حول موضوع العلاقة بين التداولية والمجاز، أما نحن فسوف نحاول الجمع بين هذه المسائل التي خاضوا فيها من أجل الإحاطة بالموضوع من كل جوانبه إن شاء الله .

(1)- حسين عودة هاشم، التداولية والمجاز دراسة ابستيمولوجية، ، ص 267

الفصل الأول:

أفعال الكلام في مجازات سورة الكهف

المبحث الأول :

نـــظـــريـــة أفـــعـــال الـــكـــلا م

المبحث الثاني :

أفعال الكلام في مجازات سورة الكهف

المبحث الأول:

نظرية أفعال الكلام (تعريفها و أسسها و أهميتها في الدراسة التداولية)

Les actes des paroles

(إن ترابطنا بالكلام أوثق عرى من حبال جميع مراسي العالم)[1]. تلخص هذه العبارة الكثير من الكلام عن علاقة ما نقوله بشخصيتنا و أفعالنا.

تمثل دراسة الأفعال الكلامية لب الدراسة التداولية أو يمكن القول بأنها الوجه التطبيقي الأوضح في هذه الدراسة، وهي تنطلق من مبدأ الأقوال الصادرة ضمن وضعيات محددة تتحول إلى أفعال ذات بعد اجتماعي و تتدخل في هذا التحول العديد من العوامل منها :الاجتماعية، و الفردية، و الثقافية......

وقد كان لدراسة أفعال الكلام جذور في الدراسات الفلسفية لا يمكن اعتبارها موضوعا هامشيا في الدراسة اللسانية؛ << ذلك أننا في حال تكلمنا فإننا بصدد إنجاز شيء ما فالأمر إذن أبعد ما يكون من مجرد التكلم. لأن استعمال اللغة هو جزء مهم في التفاعل الاجتماعي. وهذه هي الفكرة الجوهرية التي قامت عليها فلسفة اللغة. >>[2]

إن نظرية أفعال الكلام التي أنشأها الباحثون في التداولية كانت وليدة الدراسات التي قدمها أوستن سنة 1955، و التي يهدف من خلالها إلى تأسيس مذهب فلسفي جديد هو(فلسفة اللغة) ولم تكن له أي نية أخرى لتأسيس فرع جديد في مجال اللسانيات. وقد اتجهت هذه المحاضرات و الدراسات التي قدمها أوستن إلى معالجة أهم الأسس التي تقوم عليها الفلسفة الأنجلوساكسونية - في تلك الفترة-والتي تنظر إلى اللغة على أن هدفها الأساسي هو وصف الحقيقة[3].

ليصل فيما بعد إلى نتيجة مخالفة لهذه الفكرة حيث يرى أن <<اللغة: la langage هي أبعد ما تكون فقط تمثيلا للحقيقة و الفكر، فاللغة عنده عبارة عن جهاز أو منظومة Institution تسمح بإتمام و إنجاز أفعال لا توجد إلا في نطاق أو عن طريق تلك المنظومة. >>[4]

---

(1) – مثل أوروبي

(2) – نور الدين خيار ،الخطاب القصصي القرآني دراسة أسلوبية تداولية ، ص205

(3) – ينظر:نور الدين خيار ، المرجع نفسه، ص206

(4) – نور الدين خيار، المرجع نفسه ، ص206

1. الحدث الكلامي عند أوستن:

يقول فان دايك : << إن الاستعمال اللغوي ليس أبراز منطوق لغوي فقط، بل هو إنجاز حدث اجتماعي معين أيضا في الوقت نفسه>>[1]. وهذه الفكرة تؤكد أن المقياس الذي كان سائدا في الحكم على دلالة الكلام- مقياس الصدق و الكذب- ليس مقياسا صحيحا، ولقد تصدى أوستن لهذه الفكرة <<حيث نبه إلى أن دلالة الجملة في اللغة العادية ليست بالضرورة إخبارا، وهي ليست مقيدة دائما بأن تحيل على واقع فتحتمل الصدق أو الكذب ، و أن القصد من الكلام هو تبادل المعلومات مع القيام بأفعال تضبطها قواعد التواصل في الوقت ذاته مما ينتج عنه تغيير في وضع المتلقي و تأثير في مواقفه.>>[2]

ولهذا فأوستن يقترح تغيير هذا المقياس في الحكم على الجمل بأن تقاس بمدى الإخفاق أو التوفيق في الاتصال وكيفية تقبل المستقبل له على أنه صحيح أو مناسب أو ملائم أو موفق، ذلك أن كل فعل كلامي لا بد أن يحمل في طياته التزامات محددة.

- **ما هو الفعل الكلامي؟**

تعرف أفعال الكلام بأنها أفعال ينجزها الإنسان بمجرد التلفظ بها في مقام معين بكلمات يعبر بها عن مدلول إنجاز ذلك العمل. ونستعمل أفعال الكلام في مواقف تعبيرية معينة حسب السياق الذي ترد فيه، كالطلب أو الاستفهام أو التمني.....،و بهذا فهي تقتضي توفر شرطين أساسيين لتحقيقها وهما: المعرفة اللغوية و الاستعمال المناسب للغة حسب المقام ؛ أي أن أفعال الكلام تتحقق من خلال استعمال اللغة وفق قواعد معينة، وهي كما يرى أوستن Austin مركب من ثلاثة أفعال تعد جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد لا تنفصل عن بعضها وهي :

---

(1) – فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ، ص118

(2) – خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، بيت الحكمة / الجزائر، ط:2 / 2012 ، ص73

الفعل الكلامي (القولي) + الفعل الكلامي (الإنجازي) + الفعل التأثيري.[1]

ولقد أصبحت الأفعال الكلامية تحتل مركز الاهتمام في الدراسات التداولية ذلك أن الفعل الكلامي يقوم على فكرة أن << كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري>>[2] – حسب ما قدمه أوستن – إضافة إلى ذلك فهو يعد << نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعال قولية (Actes locutoires) لتحقيق أغراض إنجازية (Actes illocutoires) وغايات تأثيرية (Actes perlocutoires) تخص ردود فعل المتلقي كالرفض و القبول.>>[3]

- ما هي مكونات الفعل الكلامي؟

أ- **فعل الكلام (فعل القول: Acte locutoire)**: وهو يتألف من أصوات لغوية تنتظم في تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنى محدد وهو المعنى الأصلي وله مرجع يحيل إليه ، ويشتمل بدوره على أفعال لغوية فرعية صغرى وهي: الفعل الصوتي acte phonétique+ الفعل الانتباهي أي التبليغي التركيبي acte phatique + المستوى البلاغي الدلالي acte rhétique.[4]

فالفعل القولي إذن هو المكون الأول للفعل الكلامي أو هو الوجه التلفظي له.

ب- **الفعل الإنجازي: acte illocutoire** : << وهو عمل ينجز بقول ما ، وهو ما يؤديه الفعل اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي كالتحذير من عمل شيء أو رجاء عمل شيء أو الاستفهام عن شيء. ويسمي أوستن الوظائف الكامنة خلف هذه الأفعال بالقوى الإنجازية ، فالفرق بين فعل الكلام و الفعل الكلامي الإنجازي أن الأخير هو قيام فعل ضمن قول شيء ما، أما الأول فيعني مجرد قول، إذن فالفعل الكلامي الإنجازي يتعلق بتحقيق مقاصد المتكلم. >>[5]

---

[1] – ينظر: ناغش عيدة، أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين ، مذكرة معدة لنيل درجة الماجستير ، إ : بوجمعة شتوان ، جامعة مولود معمري – تيزي وزو/ الجزائر، 2012، ص101

[2] – مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص40

[3] – مسعود صحراوي، المرجع نفسه ، ص40

[4] – ينظر: ناغش عيدة، أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين ،ص101 /102

[5] –الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، د–ط/ ، 1992، ص24

ومنه فالفعل الإنجازي يمثل الصيغة التي يأتي فيها الفعل القولي.

ج- الفعل التأثيري acte palocutoire : ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع كأن يجعله الكلام يسعد أو يغضب ...، إذن يرى أوستن أن الفعل بعد قيامه بكل من فعل القول و الفعل الإنجازي فإنه يتسبب بحدوث فعل ثالث هو الفعل التأثيري مثل : الإقناع و الإرشاد, التحفيز......[1]

و كمثال على هذه المكونات نورد العبارة التالية و المتمثلة في قول المعلم للتلميذ (الكذب يدخل صاحبه للنار)، فالعبارة التي نطق بها المعلم تمثل الفعل القولي وهي تمثل في نفس الوقت فعلا إنجازيا وهو التحذير. ويمثل إلتزام التلميذ بالصدق و إبتعاده عن الكذب . الفعل التأثيري لهذه العبارة ونتيجة للفعل الإنجازي.

وبهذا فإن أوستن وضع نوعا ثانيا من العبارات إلى جانب العبارات الوصفية وهو العبارات الإنجازية التي لا يحكمها مقياس الصدق و الكذب، وبتزامن النطق بها مع تحقيق مدلولاتها في الواقع . ولقد ضبط أوستن هذا النوع من العبارات بشروط محددة لا يمكن تحقيق إنجازاتها بدونها وهي:

<< 1- أن يكون الفعل فيها منتميا إلى مجموعة الأفعال الإنجازية: وعد، سأل، قال.....

2- أن يكون الفاعل هو نفس المتكلم، أي أنها تمثل الفردية ممن يقولها.

3- أن يكون زمن دلالتها المضارع.

وهي شروط تجمع بين مستويين النحوي و المعجمي، و غياب أي شرط منها كفيل بأن يحول العبارة إلى عبارة وصفية. >>[2]

ولقد قدم أوستن تصنيفا للأفعال الكلامية إستنادا إلى قوتها الإنجازية، وعدها خمسة أصناف هي:

1- الأفعال الحكمية القرارية :وتقوم على إعلان عن حكم تأسيس على البداهة مثل: إخلاء الذمة، و اعتباره كالوعد.

2- الأفعال التمرسية: وتقوم على إصدار قرار لصالح أو لضد سلسلة أفعال مثل: أسس- قاد- دافع عن – طلب.....

---

(1) – ينظر :أرمينيكو فرانسواز–المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي ، د–ط/ 1986، ص62.

(2)– خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 77

3- أفعال التكليف الوعدية: ويلزم المتكلم بسلسلة أفعال محددة مثل: وعد- تمنى- و التزم- و أقسم......

4- أفعال العرض التعبيرية: expositifs :تستعمل لعرض مفاهيم منفصلة،وبسط موضوع، وتوضيح استعمال كلمات وضبط المراجع مثل: أنكر- أكد- أجاب......

5- أفعال السلوكيات الإخباريات :يتعلق الأمر بردود أفعال تجاه سلوك معين مثل: الإعتذار- الشكر- التهنئة......[1]

ولم تتوقف أفكار أوستن عند هذا الحد بل استطاع بعد ذلك أن يبين أن العبارات الوصفية أيضا يمكن أن تصير عبارات إنجازية وقسمها بذلك إلى نوعين[2]

- **إنجازية (صريحة/ مباشرة):** فعلها ظاهر (أمر-حض- دعاء-نهي) بصيغة الزمن الحاضر المنسوب إلى المتكلم.
- **إنجازية(ضمنية/ غير مباشرة)** فعلها غير ظاهر، نحو: الإجتهاد مفيد: أقول الإجتهاد مفيد: آمرك أن تجتهد. نحو قوله تعالى: ﴿**وَمَا اَلْحَيَاةُ اَلْدُنْيَا إِلا مَتَاعُ اَلْغُرُورِ**﴾ **{الحديد:20}** أقول، احذروا....

وبهذا استطاع أوستن أن يغير النظرة الفلسفية التي كانت سائدة في الدراسات السابقة ويعوضها بأفكار جديدة متطورة أسست آفاقا جديدة في الدرس التداولي، وجعلت من دراسة أفعال الكلام الوجه التطبيقي الأوضح في هذا المجال .

---

[1] ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص78-79

[2] خليفة بوجادي:المرجع نفسه ، ص78

2- الفعل الكلامي عند سيرل*:

رغم كل ما قدمه أوستن إلا أنه لم يكن كافيا و مضبوطا، فجاء تلميذه جون سيرل ليحكم وضع الأسس المنهجية التي تقوم عليها نظرية الأفعال الكلامية ذلك أنه وقع على بعض النقائص في تصنيفات أوستن .فقام بضبطها وفق عدد من المعايير أهمها:

1-<< الغاية من الفعل: مثل الحصول على قيام س بعمل ما >>[1]، أي أن تصنيف الفعل يجب أن يرتبط بالغرض الإنجازي له.

2- اتجاه المطابقة بين العلامة اللغوية و العالم الواقعي،فالفعل الإخباري مثلا يَنْحُ نحو جَعْلِ القول مطابقا للواقع الخارجي.

3- الحالة النفسية المعبر عنها، مثل : اليقين- الرغبة – التحسر.... ويؤكد سيرل على أهمية هذا المعيار في تصنيف الأفعال الكلامية حتى في حالة عدم مطابقة الكلام للواقع الخارجي.

4-شروط الإخلاص في القول:[2] وتتعلق بالعناصر الثلاثة: المُخاطِب- الخطاب- و المُخاطَب.

ولقد ارتكز سيرل في تصنيفاته للأفعال الكلامية على أساسين هامين هما:

- أن الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي و أن للقوة الإنجازية دليلا يسمى دليل القوة الإنجازية، يبين لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه للجملة، ويتمثل في نظام الجملة، و النبر و التنغيم، وعلامات الترقيم.
- أن الفعل الكلامي أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم، بل هو مرتبط أيضا بالعرف اللغوي و الاجتماعي.[3]

---

* جون سيرل : أحد أهم أعلام نظرية أفعال الكلام وهو تلميذ أوستن.

(1) – فليب بلا نشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان،تر: صابر الحباشة ، دار الحوار- سورية ،ط:1 / 2006 ، ص63

(2)– ينظر: فيليب نشيه، المرجع نفسه ، ص61

(3) – ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص158.

وبالاستناد إلى هذه المعايير جاء تصنيف سيرل لأفعال الكلام كما يلي:

- التقريريات : وتقابلها عند أوستن الحكميات .
- الأمريات: وتقابلها عند أوستن الأمريات[1] (التمرسية): وتقتضي متابعة الأعمال مثل: الطرد- العزل- الاتهام- التوسل.[2]والفرق بين النوع الأول وهذا النوع من الأفعال الكلامية يكمن في كون أفعال التمرس أفعال تنفيذ أحكام وليست أحكاما في حد ذاتها.
- الوعديات: Promissifs وتقابلها عند أوستن نفس المصطلح
- البوحيات :Experessifs وتقابلها عند أوستن السلوكيات
- الإيقاعيات: وتقابلها عند أوستن التبيينيات[3]. (العرض)

إضافة إلى هذا التصنيف الجديد، فقد قام جون سيرل بالتعمق في مكونات الفعل الكلامي، << إلى جانب أنه قدم شروط تحول فعل من حال إلى حال أخرى و آليات ذلك التحول وتوضيح خطوات استنتاج الفعل المقصود>>[4] ، وذلك بالإسناد إلى مكونات الفعل الأصلية والتي عدها بنظرة أربعة مكونات وهي:

أ- فعل التلفظ(الصوتي و التركيبي)

ب- الفعل القضوي(الإحالي الجملي)

ت- الفعل الإنجازي(على نحو ما فعل أوستن)

ث- الفعل التأثيري(على نحو ما فعل أوستن)[5]

وبهذا نلاحظ التقارب في رؤيتي كل من أوستن وسيرل لأفعال الكلام وفي تصنيفاتها مما جعل جل المهتمين بهذا المبحث يتخذون أعمالهما مصدرا يبنون عليه أفكارهم وتحليلاتهم للنصوص.

---

(1) – ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب ، ص96

(2) – ينظر: فيليب بلا نشيه: التداولية من أوستن إلى غوفلمان ، ص62

(3)– مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب ، ص96

(4)– فرانسواز أرمينيكو: المقاربة التداولية، ص66

(5)– ينظر : خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص80

3-الفعل الإنجازي:

إن أبرز ما ركز عليه جون سيرل بعد تحليله لأعمال أستاذه أوستن هو القوة الإنجازية، حيث تصاحب الأفعال الكلامية أو الحدث الكلامي أفعال إنجازية ناتجة عنها. فالفعل الإنجازي هو << فعل ناتج عن الفعل الكلامي الحقيقي وهو القيام بفعل ضمن قول شيء والفعل الانجازي يحدث أثرا معينا على المخاطب، كأن يستجيب المخاطَب مثلا لأمر ما كإغلاق النافذة، أو فتح باب، وبهذا يكون هناك فعل تأثيري، إذن الفعل التأثيري هو الفعل بواسطة القول. >>[1]

ومنه وكما بينا سابقا – فالفعل الإنجازي هو الوظيفة التي يؤديها الفعل القولي بالاستعمال :كالوعد أو التحذير، أو الأمر، و لأهمية هذا الفعل في العملية التواصلية فقد ركز كل من أوستن وتلميذه سيرل عليه اهتمامها وجعلاه لب الدراسة– ثم عن تصنيفاتهم للأفعال الكلامية كانت استنادا إلى هذا الفعل و الذي يطلق عليه أوستن اسم القيمة الإنجازية:(Valeur):

- وتتحكم في هذه القيمة عدة عوامل هي:

1 – اختلاف ترتيب الكلمات و الأشياء، ويتعلق الأمر بمدى مطابقة الكلام للواقع.

2- اختلاف غاية الفعل.

3- اختلاف الحالة النفسية لطرفي العملية التواصلية(سواء المتكلم أو المتلقي).

4-اختلافات في حدة الالتزام المعبر عنه في التقديم، أو في جهة الإنجاز.

5-اختلاف مقياس أوضاع المتكلم و المستمع في حدود حساسية قوة إنجاز الفعل.

6-الاختلافات في الطرق التي يرتبط بها القول بمصالح المتكلم و المستمع.

7-الاختلافات في العلاقة التي تربط السياق بالخطاب.

8-اختلافات في أسلوب إنجاز الفعل الإنجازي.[2]

ولم تقتصر أعمال و اهتمامات جون سيرل عند هذا الحد في نظرية أفعال الكلام بل أضاف تصنيفا آخر، و انطلق فيه من التصنيف الأول و فكرة أوستن حول الأفعال الكلامية المباشرة و الأفعال الكلامية غير المباشرة:

---

(1)– طالب هاشم الطبطباني: نظرية الافعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب ،مطبوعات جامعة الكويت دط/ 1994، ص66

(2) – ينظر: فرانسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية، ص62-63

أ- **الأفعال المباشرة:** يعرفها جون سيرل بقوله: **<<** هي الحالات أين يمكن للمتكلم التلفظ بقول ما، و يراد منه ما صرح به. **>>**[1] ومنه فهي الأفعال التي يتطابق فيها مراد المتكلم مع القوة الإنجازية.

ب- **الأفعال غير المباشرة:** ويعرفها بقوله: **<<**هي الحالات التي يكون فيها معنى القول مخالفا تماما لمعنى الجملة بطرق وكيفيات مختلفة**>>**[2] وهي التي لا تتفق فيها القوة الإنجازية للفعل الكلامي مع مراد المتكلم. ويتوصل إليها المتلقي بإجراء عمليات ذهنية استدلالية قد تكون معقدة في بعض الأحيان .

ولقد ركز سيرل على هذا التصنيف في دراسته- لأنه لمس مدى اهميته في العملية التواصلية- وقام بشرحه و التمثيل له بعدد من الأمثلة مما جعله يتوصل إلى أن الأفعال الكلامية غير المباشرة عبارة عن أقوال لا تتوفر على تطابق بين معنى الجملة ومعنى القول، حيث يدل معنى الجملة على معنى مخالف للمعنى الظاهر.

ولهذا فإن الأفعال في هذا الصنف لا تبدو بسيطة على الإطلاق خصوصا في حال اعتمادنا على الإشارات و التلميحات حيث يتعقد معناها أكثر فأكثر.[3]

وبهذا فالأفعال الانجازية غير المباشرة ليست بالزيادة في المعنى الانجازي الحرفي، و إنما الزيادة فيما أطلق عليه سيرل (معنى المتكلم)، و أن السامع أو المتلقي سيصل إلى مراد المتكلم من خلال مبدأ التعاون الحواري و الاستنتاج.[4]

وفي الأخير نصل إلى أن دراسة الأفعال الكلامية هي دراسة تطبيقية تبرز لنا أفعال كلامية مباشرة تمثل المقاصد العامة للكلام وأفعال كلامية غير مباشرة تمثل الأفعال الإنجازية المحسوسة و الدافع وراء استعمال هذا النوع من الأفعال عادة ما يكون مرتبطا بعوامل اجتماعية و نفسية.

---

[1]- نور الدين خيار، الخطاب القصصي القرآني ، ص221

[2] - نور الدين خيار ،المرجع نفسه ، ص221

[3]- ينظر : نور الدين خيار ،المرجع نفسه ، ص221.

[4] - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري،استراتيجيات الخطاب، ص51

المبحث الثاني:

أفعال الكلام في مجازات سورة الكهف

تتجه كثير من الدراسات التداولية للنصوص التي تتسم بقوة البلاغة ، نظرا لما تحتويه من مستويات مقامية و تشخيصية تمنح هذه الدراسة ثراءا على مستوى الإجراء التطبيقي ونتيجته، فهي تتوفر على طبقات كلامية متنوعة وتختلف باعتبار المرسل إليه، فتتنوع بذلك مستويات أفعال الكلام فيها.

ويعتبر الخطاب القرآني أقوى النصوص اللغوية بلاغيا كونه خطابا حاملا لرسالة معينة، ومتضمنا لدلالات خفية، حيث يفتح المجال أمام المفسرين له ليقدموا فيه اجتهاداتهم ، التي و إن اتفقت أو تقاربت إلا أنها تبقى اجتهادات وهذا ما يدل على أن هذا النوع من الخطاب يمتلك القوة أو القيمة الإنجازية التي تجعل له تأثيرا في متلقيه وذلك من خلال مظاهر تداولية سنحاول أن نبينها من خلال عينة من النص القرآني.

ولقد اخترنا أن يكون تطبيقا للمنهج التداولي من خلال سورة الكهف التي – إضافة إلى ما تحمله من قيم دينية وفضل– تتوفر على عدد مناسب من المجازات التي تحمل الخصائص المطلوبة التي ستعيننا على هذا النوع من الدراسة .

سورة الكهف هي السورة الثامنة عشر(18) في ترتيب المصحف الشريف و تحتوي على مئة وعشر (110) آيات، جمعت عددا من قصص الأنبياء و أخبار الأمم الغابرة، إضافة إلى فضلها المعروف في كونها عصمة من فتنة المسيح الدجال لمن قرأها ليلة كل جمعة. وهي سورة << مكية بالاتفاق.....، نزلت بعد سورة الغاشية وقبل سورة الشورى، وهي الثامنة والستون في تاريخ نزول السور ....، وقد ورد في فضلها أحاديث متفاوتة أصحها الأحاديث المتقدمة، وهي من السور التي نزلت جملة واحدة..... >>[1]

[1] – محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير ،ج15، د.مط ، د ط / د ت ، ص 241ـ 242

وهذه السورة هي إحدى خمس سور ابتدأت بـ (الحمد لله) والتي هي سورة الفاتحة، سورة الأنعام، سورة الكهف، سورة سبأ، سورة فاطر، وكلها تبتدئ بتمجيد لله جل وعلا، وتقديسه، و الاعتراف له بالعظمة و الكبرياء.(1)

وقد بُنيت سورة الكهف بناءا قصصيا، حيث غلب هذا الطابع على كامل السورة مثل كثير من السور الأخرى: سورة يوسف، سورة طه، سورة يونس.......

وقد تناولت سورة الكهف خمس قصص هي: قصة أهل الكهف- والتي سميت بها- وبعدها قصة صاحب الجنتين، ثم إشارة إلى قصة سيدنا آدم مع إبليس، وفي وسطها تجد قصة سيدنا موسى مع الرجل الصالح، وختام السورة كان بقصة الملك ذي القرنين. وباقي الآيات كانت بمثابة تعليقات أو تعقيبات على هذه القصص، كما نجد إلى جوار ذلك بعضا من مشاهد الحياة ومشاهد يوم القيامة، وهي مشاهد تصور فكرة أو عضة ما على طريقة القرآن الكريم في التعبير.(2)

والملاحظ أن موضوع السورة هو تصحيح العقيدة في أصولها وتصحيح منهج النظر و الفكر، وتصحيح القيم الأخلاقية وضبطها بميزان هذه العقيدة. (3)

ويسير سياق السورة حول هذه الموضوعات الرئيسية- كما يرى سيد قطب- في خمسة أشواط متتابعة حيث تستقل كل قصة منها بشوط من هذه الأشواط:

3- الشوط الأول: والذي يكمن في العبرة من قصة أصحاب الكهف، الذين هربوا بدينهم إلى كهف لينجوا من بطش السلطة الكافرة، وهو نموذج لإيثار الإيمان على باطل الحياة وزخرفها واللجوء إلى رحمة الله حفاظا على العقيدة.
4- الشوط الثاني: يتمثل في قصة صاحب الجنتين المعتز بماله و أولاده أمام المؤمن الفقير، وهي تصور اعتزاز القلب المؤمن بالله و استصغاره لملذات الدنيا.
5- الشوط الثالث: يتضمن مشاهد يوم القيامة وتتوسطها قصة سيدنا آدم عليه السلام مع إبليس وينتهي هذا الشوط ببيان سنة الله في هلاك الظالمين و رحمته بالمؤمنين.
6- الشوط الرابع: ويتمثل في بيان الفارق بين الحكمة الإنسانية القريبة العاجلة و الحكمة الكونية البعيدة الآجلة ومثلت هذا الشوط أحداث قصة سيدنا موسى مع الرجل الصالح .

---

(1)- ينظر:محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير:ج2،دار القران الكريم – بيروت ، ط4 / 1981، ص181

(2) – ينظر: سيد قطب ،في ظلال القرآن، مج4، ج15، دار الشروق/ مصر، ط1992/17، ص2256 ـ2257

(3)- ينظر: سيد قطب ،المرجع نفسه، ص2257

7-أما الشوط الخامس و الأخير فقد مثله اعتراف الملك ذي القرنين بفضل الله عليه في كل أمر يحققه، وفي حكمه بمنهج الله و العدل.

ثم تختتم السورة كما بدأت بتبشير المؤمنين و إنذار الكافرين و إثبات الوحدانية لله جل وعلا.[1]

*-أفعال الكلام في مجازات سورة الكهف:

أ- الأفعال الكلامية المباشرة:

إن جهود أوستن و سيرل في دراسة أفعال الكلام المباشرة قد ألمت بهذا الموضوع من كل الجوانب ذلك أنهما أولياها عناية خاصة، وقد كان تركيزهما منصبا على الأفعال الإنشائية المتعلقة بالصيغة المباشرة، و شروط استعمالها في سياقات الحديث المختلفة : كالسؤال و التقرير، و استعمال مختلف الوسائل التي يتوفر عليها المتحدثون لكي يتواصلوا و يُبلغوا الفعل الكلامي للمتلقي........

1- **الأفعال الحكمية الإقرارية:** وهي الأفعال التي تقوم على إعلان حكم معين مثل: - الوصف-الانطباع- القول.....

وقد اشتملت سورة الكهف على عدد من الأفعال الحكمية الإقرارية حيث نجدها في المواضع التالية:

الموضع الأول:

في قوله تعالى:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا ﴾ (**الكهف**/2،1)، والتي تحمل صورة مجازية واضحة وتتمثل في نفي وصف القول (كلام الله) بالاعوجاج، والتي هي صفة تلحق عادة بما هو ملموس كاعوجاج العصا مثلا، وهنا نجد هذا الوصف انتقل إلى ما هو حسي غير ملموس والذي هو معاني التنزيل الحكيم، وهذا الانتقال جاء تجوزا لتأكيد عدم النقص و لتقريب المعنى إلى الذهن.

وقد جاء في التفسير هذه الآية: " لم يجعل له شيئا من العوج قط ، والعوج في المعاني كالعوج في الأعيان، و المراد :نفي الاختلاف و التناقض عن معاينة وخروج شيء منه من الحكمة و الإصابة فيه."[2]

---

[1] - ينظر: سيد قطب ،في ظلال القرآن ، ص2258 - 2259

[2] - أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ،تفسير الكشاف، دار المعرفة – بيروت ، لبنان ، ط3 / 2003، ص612

لم يجعل له عوجا* قيما ـــــ أي هذا الكتاب مستقيم لا عوج فيه[1] ـــ الفعل الكلامي المنجز(أصف)ــــــ فعل حكمي إقراري.

فكأن المرسل هنا (الله سبحانه وتعالى) يأمرنا بالنظر و التدبر في الكتاب العزيز ، و يصفه لنا بالكمال و الإستقامة. والمتلقي في هذه العبارة هم الناس عامة و المؤمنين منهم خاصة ،وهذا الفعل ينتمي- كما أسلفنا- إلى قائمة الأفعال الحكمية الإقرارية حسب تصنيفات أوستن و سيرل، وهو فعل صريح مباشر يستطيع المتلقي فهمه و الوصول إلى معناه بسهولة.

الموضع الثاني:

﴿ **فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا** ﴾(11/**الكهف**) ؛ أي ضربنا عليها حجابا من أن تسمع ، يعني: أنمناهم إنامة ثقيلة لا تنبههم فيها الأصوات كما نرى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه ، فحذف المفعول به الذي هو الحجاب.[2]

وهذه الصورة هي استعارة مكنية شبهت الإنامة الثقيلة بضرب الحجاب على الآذان كما تضرب الخيمة على السكان.[3]

وقد حملت الآية فعلا كلاميا مباشرا تقديره الحكم، فقد حكم سبحانه وتعالى على الفتية بالنوم الثقيل في الكهف بغرض حمايتهم من كيد أهل ذلك الزمن. وهذا الفعل جاء بصيغة مباشرة بينة يستطيع المتلقي الوصول إليه بسهولة.

الموضع الثالث:

ويقع في قوله تعالى: ﴿ **وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾** ﴾ (18/الكهف) ، فالفعل ملئت هنا:" فعل ماض مبني للمجهول، والتاء: في محل رفع نائب للفاعل. أما رعبا فوقعت تمييزا منصوبا."[4]

---

[1] – ينظر: الصابوني ،صفوة التفاسير، ص182

[2] – ينظر :الزمخشري ،الكشاف ، ص613

[3]– ينظر:الصابوني ، صفوة التفاسير، ص188

[4] – بهجت عبد الواحد صالح ،الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل ،مج:6 ، دار الفكر للنشر والتوزيع- عمان ،الأردن ، ط2/ 1998، ص361

وهذه الصورة تدخل ضمن مجاز الكل بصفة الجزء؛ أي أن الانتقال بالدلالة محكوم بعلاقة الجزء بالكل، ذلك أن الرعب أو الخوف صفة تملؤ القلب أو الصدر لكنها هنا نسبت إلى كامل الجسد، ثم إن الإمتلاء في حد ذاته يكون عادة بشيء ملموس، كامتلاء الكوب بالماء مثلا- لكنه هنا ارتبط بما هو معنوي وهو الإحساس بالرعب. فجاءت هذه الصورة على أسلوب المجاز ليدرك المتلقي حجم الخوف، وبذلك فهي تنتمي إلى مجاز التشبيه.

كما جاءت هذه الصورة المجازية وصفية تحمل فعلا كلاميا حكميا مباشرا، فالخالق سبحانه وتعالى(المرسل) يصف للرسول صلى الله عليه وسلم (المتلقي) حالة أهل الكهف، ومنه فالفعل الكلامي هنا هو الوصف وهو متصل بسياق الآية كاملة. حيث يطلق حكما بالخوف لمن يرى منظر أصحاب الكهف في ذلك الوقت.

الموضع الرابع:

ويقع في قوله تعالى:﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔاۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ (33/ الكهف) ، والمعنى العام للآية هو أن كلتا الجنتين أخرجت ثمارها فكان يانعا في غاية الجودة و الطيب ولم تنقص منه شيئا.[1]

والمجاز الذي تحمله هذه الآية يتمثل في نسبة الفعل إلى سببه، فنسب فعل الإيتاء إلى جنتين مباشرة بدل الشجر لتوقفه عليها ولأن الجنة دلالة لما تحتويه من شجر و نبات .[2]

وقد جاءت هذه الصورة حاملة للفعل الكلامي (الوصف)، فهي تقريرية تصف لنا مظهرا معينا وبذلك فهي تنطوي تحت قائمة الأفعال الكلامية الحكمية الإقرارية.

الموضع الخامس:

وهو في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ **(50/ الكهف).**

الفاء هنا "سببية لأن كونه من الجن كان سبب فسقه"[3] لأنه لو كان ملكا كسائر من

---

(1) – ينظر، الصابوني ، صفوة التفاسير ص191، و ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ،ج 3، دار ابن الهيثم ،مصر ، ط 2005/1 ص1767

(2)– ينظر ، عز الدين بن عبد السلام ، مجاز القرآن، تح:محمد مصطفى بن الحاج ،ج 1، ، ص230

(3)– بهجت عبد الواحد صالح ،الإعراب المفصل،مج:6 ، ص359

سجد لآدم لم يفسق عن أمر الله ...ومعنى فسق عن أمر ربه: خرج عن ما أمره به من السجود.[1] وهذه الآية تنتمي إلى مجاز التشبيه، حيث شبه طاعة الله عز وجل بحيز ما، وشبه معصيته بحيز آخر، وشبه التارك للطاعة بالخارج من حيز إلى حيز، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ألا و إن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه."[2]

وقد حملت هذه الآية في عمومها فعلا كلاميا مباشرا وهو الوصف، فالآية تسرد لنا جزءا من حادثة سيدنا آدم عليه السلام مع إبليس – عليه لعنة الله – ورفضه للسجود لآدم، وهذا السرد جاء بأسلوب وصفي تقريري، وبذلك فلآية تنتمي على قائمة الأفعال الحكمية الإقرارية حسب تصنيف أوستن وسيرل.

الموضع السادس:

حيث نجد هذا النوع من الأفعال في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ (59/الكهف) .

والمقصود بالقرى: " قرى الأولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم. أشار لهم إليها ليعتبروا..."[3] حيث جاءت (تلك) : في محل رفع مبتدأ، و (القرى) بدل من اسم الإشارة مرفوع بالضمة المقدرة.[4] وهي صورة مجازية تعتمد على الحذف ،فالتقدير هنا: " جماعة أهل القرى أو أهل تلك القرى أو أصحاب تلك القرى أهلكناهم......"[5] وتحمل هذه الآية فعل الوصف والذي هو من أفعال الكلام الحكمية، ومنه يمكن حمل الآية تداوليا على المعنى: أنظروا إلى حال الأمم السابقة كيف أهلكناهم لما ظلموا، فالمرسل هنا (الله جل جلاله) يلفت انتباه المتلقي إلى مآل من يكفر به وكيف أنه يجزيه العقاب في الدنيا و الآخرة. وهذا الفعل جاء صريحا مباشرا يستطيع المتلقي الوصول إلى مغزاه دون عمليات معقدة.

---

[1]– ينظر :الزمخشري ،الكشاف: ص622

[2] – عز الدين بن عبد السلام ، مجاز القرآن ، ص412

[3]– الزمخشري ،الكشاف ، ص623

[4] – ينظر: بهجت عبد الواحد صالح ،الإعراب المفصل،مج:6 ، ص409

[5] – أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الشافعي ، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ،تق :رمزي سعد الدين دمشقية ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت / لبنان ، ط 1/ 1987 ، ص169–170

الموضع السابع:

كما نجد فعلا حكميا في قوله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾(68/**الكهف**) تقر هذه الآية نفي استطاعة الصبر على وجه التأكيد كأنها مما لا يصلح ولا يستقيم.[1]

وقد جاءت (كيف) هنا "اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال"[2] . إلا أنها لم تعمل عملها ، فالاستفهام هنا غير حقيقي ، بل جاء بغرض تأكيد الحكم بعدم الصبر على سيدنا موسى عليه السلام. ومن هنا نستنتج أن الآية تحمل في طياتها فعلا كلاميا منجزا تقديره (اعلم/تأكد) وهو فعل كلامي صريح ومباشر صادر عن المرسل(الرجل الصالح) في حق المتلقي (سيدنا موسى عليه السلام).

الموضع الثامن:

ونجد في قوله تعالى:﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ ﴾(77/**الكهف**).

وهذه الآية إحدى أهم الآيات التي أستشهد بها على وقوع المجاز في القرآن الكريم واللغة عموما.

فالصورة المجازية هنا استعارة مكنية شبه فيها الجدار بالإنسان، فحذف المشبه به وتركت إحدى لوازمه وهي الإرادة، لأن الإرادة من صفات العقلاء و إسنادها إلى الجدار هنا مجاز بليغ و استعارة لطيفة.[3] فالإرادة من شأن الحي و لا تكون في الجماد-جدار مثلا-

وقد كان تصوير هذه الآية متفردا أبدى جمال و إعجاز الأسلوب القرآني، وهي تحمل فعلا كلاميا واضحا وهو الوصف، حيث تصف لنا حال الجدار الذي كان على وشك الانهيار. والوصف فعل من أفعال الحكم الإقرارية، وهو فعل مباشر ومناسب لسياق القصة، بل وهو أسلوب أساسي فيها.

---

(1)- ينظر :الزمخشري ، الكشاف، ص625

(2)- بهجت عبد الواحد صالح ،الإعراب المفصل،مج:6 ، ص412

(3)- ينظر : الصابوني ،صفوة التفاسير ، ص202

الموضع التاسع:

ويتمثل في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾ (99/الكهف)

أي وجعلنا بعض الخلق يضطربون و يتخبطون إنسهم وجنهم حيارى، ويجوز أن يكون الضمير لياجوج و ماجوج و أنهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد [1] ،وقد وقع المجاز في قوله تعالى(يموج في بعض) وهي استعارة مكنية، حيث شبههم لكثرتهم وتداخل بعضهم في بعض بموج البحر المتلاطم، وقد استعار لذلك لفظة (يموج)[2] للدلالة على المشبه المحذوف والذي هو الموج المتلاطم. وهي آية تصف لنا مشهدا من مشاهد قصة ذي القرنين ويمكن أن نستشعر منها فعلا كلاميا مباشرا وهو كما أشرنا الوصف.

الموضع العاشر:

وهو الأخير في السورة من الأفعال الحكمية الإقرارية، ونجده في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ ﴾ (101/ الكهف).

فالآية تصف لنا حال الكافرين الذين هُيئت لهم جهنم، " الذين كانوا في الدنيا عميا عن دلائل قدرة الله ووحدانيته فلا ينظرون ولا يتفكرون"[3] وهذه الآية تنتمي إلى مجاز تشبيه المعاني بالمعاني؛ " أي كانوا ينظرون فلا يعتبرون وتعرض عليهم الآيات الكونية فلا يؤمنون ، ولم تكن أعينهم حقيقة في غطاء وحجاب وإنما بطريق التمثيل."[4] فالآية تشبه الغفلة والجهل بالغطاء الذي يغطي الأبصار عن الحقيقة، وكما جاء في التفسير، فالآية تحمل فعلا كلاميا واضحا وهو الوصف والذي ينتمي كما أسلفنا إلى الأفعال الحكمية الاقرارية.

وقد كانت جل الأفعال الحكمية التي اشتملتها سورة الكهف وصفية، ذلك أن هذه الصورة تسرد لنا عددا من القصص و المعروف أن القصة تعتمد في أسلوبها على الوصف .

---

(1)- ينظر :الزمخشري ، الكشاف ، ص630

(2)- ينظر : الصابوني ، صفوة التفاسير، ص209

(3)- الصابوني ، المرجع نفسه ،ص207

(4) - الصابوني ، المرجع نفسه، ص209

ب-الأفعال التمرُّسية :

وهو النوع الثاني من الأفعال الكلامية حيث يقوم على إصدار قرار لصالح أو ضد سلسلة أفعال مثل: أمر-قاد-دافع عن- ترجى-طلب-تأسف- نصح......[1]

ويعد هذا النوع من الأفعال الكلامية بالغ الأهمية عند الأصوليين في تفسير النصوص كاستقصاء الأمر ودلالاته في المواضعة و الاستعمال ذلك بأنها أفعال طلبية تأخذ عدة اعتبارات لتحقيق تأثيرها كالاستفهام و الأمر و النهي......

وقد اشتملت بعض مجازات سورة الكهف على هذا النوع من الأفعال حيث نجده في :

الموضع الأول:

ونجده في قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦ ﴾ **(6/الكهف)**

وقد جاء في تفسير الزمخشري لهذه الآية : شبهه وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد و الأسف على توليهم، بوجل من فارقه أحبته و أعزته، فهو يتساقط حسرات على آثارهم، و يبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم[2] ،وهذه الصورة استعارة تمثيلية حيث شبه حاله عليه السلام مع المشركين بحال من فارقته الأحباب فحذف المشبه به وترك وجه الشبه للدلالة عليه ، فهو بفراقهم يقتل نفسه أو كاد يُهلك نفسه حزنا ووجدا عليهم.

وقد حملت هذه الصورة المجازية فعلا كلاميا مباشرا يستطيع المتلقي استقراءه من المعنى العام للآية وهو النهي ، فالمرسل(الله سبحانه وتعالى) بوصف لحاله عليه الصلاة والسلام ينكر عليه فعله (حزنه على المشركين) وينهاه عن ذلك، وهو فعل من الأفعال التمرسية.

ومنه تفسير الآية كما يلي:

لعلك باخع نفسك ــــــ لا تحزن عليهم ــــــ فعل كلامي مباشر تقديره(النهي)

---

[1]- ينظر : فرانسوا أرمينيكو، المقاربة التداولية ، ص62-63

[2]- ينظر : الزمخشري ، الكشاف، ص612

الموضع الثاني:

يقول تعالى: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۢ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴿١٥﴾ ﴾(15/**الكهف)**

ولقد اشتملت هذه الآية صورة مجازية تمثلت في استعمال (لولا) بدل(هلا)، حيث يفسر ابن كثير هذه الآية بقوله: " هلا أقاموا على صحة ما ذهبوا إليه دليلا واضحا"[1] ولهذا عده صاحب الإشارة إلى الإيجاز- عز الدين بن عبد السلام – نوعا من التجوز لأن الصيغة التي أتت عليها الآية مخالفة للمعنى العام و الذي أثبته التفسير ذلك أن (لولا) تفيد الامتناع لوجود ، بينما المعنى المراد هو " هلا يأتون على آلهتهم أو على عبادتهم بدليل ظاهر."[2]

وهذه الصورة المجازية تحمل حسب-المنهج التداولي-فعلا كلاميا منجزا وهو الطلب و التحضيض والذي ينتمي إلى قائمة الأفعال التمرسية و التي هي أفعال الأمر و الطلب....

فتكون الصورة المجازية بذلك كما يلي:

لولا يأتون ــــ الفعل الكلامي المنجز: نطلب أو نطالب ــــ فعل كلامي صريح ومباشر

وأطراف العملية التواصلية هنا هم: (المرسل: أهل الكهف)، (المتلقي: المشركون)

الموضع الثالث:

ويقع في قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾**(28/الكهف).**

حيث جاء في تفسير هذه الآية التي تخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم وتوجهه بأن لا يصرف بصره إلى ذوي الغنى و الشرف، قال المفسرون: كان عليه السلام حريصا على إيمان الرؤساء ليؤمن أبناءهم ولم يكن مريدا لزينة الدنيا قط، فأمره الله أن يجعل إقباله على فقراء المؤمنين وأن يعرض عن أولئك العظماء و الأشراف و المشركين.[3]

و المجاز في هذه الآية واقع في استعمال فعل التعدي إلى العين وهو استعمال غير حقيقي لأن العين عضو من أعضاء الجسم، و الأفعال تنسب للفاعل لأنه من يستطيع التحكم فيها، وقد

[1]- ابن كثير، تفسير القرآن الحكيم ، ص1757

[2]- عز الدين بن عبد السلام ، الإشارة إلى الإيجاز، ص168

[3] - ينظر :الصابوني ، صفوة التفاسير، ص189

سمى عز الدين بن عبد السلام هذا النوع من المجاز بالتجوز بالنهي لمن لا يصح نهيه والمراد به من يصح نهيه، وقد قدم في ذلك عددا من الأمثلة.[1]

وتحمل هذه الآية الكريمة فعلا كلاميا ظاهرا وهو النهي، فاللام: ناهية جازمة، وتَعُدْ بمعنى تتجاوز: فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف آخره[2]. وقد جاء هذا النهي بغرض النصح و الإرشاد، وهذا الفعل الكلامي ينتمي إلى قائمة الأفعال التمرسية حسب تصنيف أوستن و سيرل، وبذلك تكون العبارة كما يلي:

لا تعد عيناك ـــــ التقدير: أنهاك عن النظر ـــــ فعل كلامي صريح مباشر

الموضع الثالث:

وتمثل في قوله تعالى: ﴿ **وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا** ﴾ (36/**الكهف**).

فصاحب الجنتين في هذه الآية يقول إنه" إن رُد إلى ربه على سبيل الفرض و التقدير وكما يزعم صاحبه، ليجدن في الآخرة خيرا من جنته في الدنيا طعما وتمنيا على الله و إدعاء لكرامته عليه و مكانته عنده و أنه ما أولاه الجنتين إلا لاستحقاقه لها، و أن معه هذا الاستحقاق أينما توجه".[3] فالمعنى العام للآية إذن هو التمني، أما من منظور البلاغة فالآية تحمل صورة مجازية تتمثل في قوله(رددت إلى ربي) حيث أن البعث في حقيقته أمر معقد بين الروح و الجسد و لا يكون بالرد الذي هو بمعنى العودة،وهو تجوز في الاستعمال واضح سهل على الفهم، وفعل التمني من الأفعال الكلامية التي تنتمي إلى الأفعال التمرسية والتي هي أفعال قائمة على الطلب.

فالمرسل هنا (صاحب الجنتين) رغم تكبره وعدم إيمانه يطلب من المتلقي (الخالق عز وجل) وبذلك فهو يوجه المتلقي للقيام بأمر ما وتكون الاستجابة بالامتثال أو الامتناع ،غير أن هذا الخطاب لم يشتمل مبدأ التأدب مع المخاطَب، ذلك أن التمني أو الطلب عندما يوجه إلى الخالق جل وعلا يفترض أن يكون خطابا متأدبا و الذي يسمى الدعاء.

---

[1] – ينظر: عز الدين بن عبد السلام ، مجاز القرآن، ص177

[2]– ينظر: بهجت عبد الواحد صالح ، الإعراب المفصل ، ص375

[3]– الزمخشري ، الكشاف، ص620

الموضع الرابع:

يقول تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ *﴾(89/الكهف)

ومعنى الآية واضح فهو خطاب موجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فيقول صاحب الصفوة: يسألك اليهود يامحمد عن ذي القرنين، وما شأنه ؟ وما قصته؟[1]

أما المجاز الواقع فيها، فهو واضح من خلال تفسيرها، فسؤال اليهود لم يكن عن شخص ذي القرنين بل كان حول شأنه وقصته وهذا الحذف جاء بغرض الإيجاز، ومثله قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ ﴾ (9/الكهف).

وتحمل هذه الآية فعلا كلاميا واضحا وهو الطلب، ذلك أن اليهود (المرسل) كانوا يجادلون الرسول صلى الله عليه وسلم (المتلقي) يطلبون منه إخبارهم من قصص و أخبار الأمم الغابرة بغرض تعجيزه ومنه فعموم الآية تحمل فعلا كلاميا تمرسيا وهو فعل كلامي مباشر وصريح.

وكما رأينا في هذه المواضع فالخطاب القرآني يحرص على تنويع أساليبه وخطاباته وفق منظور يحرص على بلوغ الفائدة لجميع المخاطبين، فيستعمل –مثلا–أداة النداء حسب المنادى وما يناسبه وحسب طبيعة إيمانه أو مكانته الخاصة و الاجتماعية إذ أنه مرتبط بمقام المتلقي ومقاييسه؛ فخطاب الأذكياء غير خطاب الأغبياء، وموضوع العقائد التي يتحمس لها الناس غير موضوع القصص، وميدان الجدل الصاخب غير مجلس التعليم الهادئ، ولغة الوعد والتبشير غير لغة الوعيد و الإنذار،[2] وهذا يعود إلى تلك الخصوصية التكوينية للخطاب القرآني المرتبطة بالقدرة الإلهية الإعجازية .

ومن الملاحظات التي استوقفتنا في الآيات السابقة أن السورة لم تورد فعل الأمر منفصلا عن النهي و إنما وردا متشابكين ومتداخلين مع بعضهما حتى ليصعب في بعض المواضع تبين أيتهما المقصود، إلا من خلال الرجوع إلى التفاسير، وهذا راجع لطبيعة القرآن الكريم المرتبط بالجانب التشريعي ونظام المعاملات و العبادات والعقائد، فكان لابد من الأمر لأداء الواجبات، والنهي لتجنب المحرمات.

---

* ذو القرنين: هو الاسكندر المقدوني، وهو ملك صالح أعطي العلم و الحكمة، يسمى بذي القرنين لأنه ملك مشارق الأرض ومغاربها وكان عادلا (ينظر: الصابوني ،صفوة التفاسير، ج2، ص203)

[1] – ينظر: الصابوني ، صفوة التفاسير ، ص204

[2] – ينظر :عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج 1 ، دار المعرفة/ بيروت، لبنان ، ط2001/1، ص 188

أما أسلوب الاستفهام فقد ورد بقصد التوجيه، فهو يوجه المرسل إليه(المتلقي) إلى ضرورة الإجابة عنه[1] ،أما المتكلم فهو يستعمل هذا الأسلوب إما بغرض السيطرة على مجريات الأحداث و السيطرة على ذهن المتلقي وتيسير الخطاب اتجاه ما يريده ، و إما أن تكون الأسئلة مغلقة-لا تحتاج إجابة- وهي التي توضع لأغراض غير الاستفهام الحقيقي، وقد جاءت في عدة مواضع في سورة الكهف إما بقصد التهكم أو بقصد الوعظ أو التنبيه...

ج-الأفعال التكليفية الوعدية:

وهي الأفعال التي تحيل على إلزام المتكلم بتبني موقف ما مثل الاعتراف- الإقرار-الوعد- إعلان الرغبة- إعطاء ضمانات..... إلخ[2]

وهي من الأنواع التي لا خلاف فيها في تصنيفات التداوليين للأفعال الكلامية حيث يُلزم المتكلم فيها بسلسة أفعال محددة، وقد كان لهذا النوع من الأفعال حظ وافر في مجازات هذه السورة، حيث نجده في عدة مواضع هي:

الموضع الأول:

يقول تعالى:﴿ ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾ (5/4/الكهف)

أي مالهم بالولد من علم، أو مالهم بصحة قولهم (اتخذ الله ولدا) من علم.[3] ويقول صاحب الكشاف في تفسيره هذه الآية: "يعني أن قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء"[4]، وهذا ما استوجب الإنذار. ويقع المجاز في هذا الجزء الأخير من الآية، أي في نسبة العلم لشيء محال، ويقول الزمخشري في ذلك :"فإن قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محالا، فكيف قيل(مالهم به من علم)؛ إما للجهل بالطريق الموصل إليه، و إما لأنه في نفسه محال فلا يستقيم تعلق العلم به".[5]

---

[1]- ينظر :عبد الهادي بن ظافر الشهري ،استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، ص324

[2]- ينظر : خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية ، ص78

[3] – ينظر : عز الدين بن عبد السلام ،الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ، ص168

[4] – الزمخشري ، الكشاف: ص612

[5] – الزمخشري ، المرجع نفسه ، ص612

وهذا من أول الأنواع التي أشار إليها صاحب الإشارة إلى الإيجاز و المتعلق بالشيء المعلوم و العلم به، فالتجوز هنا وقع في نسبة العلم لشيء مستحيل-كما أسلفنا- لأنه متعلق بأمور غيبية تتصل بالخالق جل وعلا.

ويتضح الوجه التداولي لتفسير هذا الجزء من الآية عند صاحب الصفوة في قوله (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا):أي ويخوف أولئك الكافرين الذين نسبوا لله الولد عذابه الأليم ...(مالهم به من علم):أي مالهم بذلك الإفتراء الشنيع شيء من العلم أصلا.[1]

ففعل الإنذار هاهنا-هو الفعل الكلامي المنجز- و الأكثر بروزا- وهو فعل صريح مباشر.

(ينذر ـ الفعل الكلامي المنجزـ التخويف- التقدير: أنذركم ـ صريح مباشر) و بالاسقاط على تصنيف أوستن و سيرل لأفعال الكلام نجد هذا الفعل ينتمي إلى قائمة أفعال التكليف الوعدية.

الموضع الثاني:

و المتمثل في قوله تعالى: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾ (14/الكهف)

وجاء في تفسير هذه الآية ربطنا : أي قوينا قلوبهم بالصبر على هجر الأوطان و النعيم، والفرار بالدين إلى بعض الغيران، و جسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالإسلام.[2]

والمجاز هاهنا من باب مجاز التشبيه ،" هي استعارة مكنية حيث شبهنا الإنامة بضرب الحجاب على الآذان كما تضرب الخيمة على السكان " [3] ، وبهذا فقد شبه حفظ القلب وتمسكه باليقين بربطه على شيء ليحفظه من الضياع، ويمنعه من الانفلات. فالربط بمعنى الصبر و التحمل ، والمربوط هنا هو الإيمان واليقين، والرابط (الفاعل) هو الله جل وعلا. فهذه الصورة المجازية إذن من باب تشبيه المعاني بالمعاني وهو النوع الحادي عشر من أنواع مجاز التشبيه عند بن عبد السلام .[4]

وبإسقاط المنهج التداولي على هذه الصورة المجازية نجدها حاملة لفعل كلامي منجز وهو حسب تصنيفات النظرية التداولية من قائمة الأفعال الوعدية /التكليف.

---

[1] ينظر : عز الدين بن عبد السلام، الإشارة إلى الإيجاز ، ص168 /الصابوني ، صفوة التفاسير، ص182

[2] ينظر : الزمخشري ،الكشاف، ص613

[3] الصابوني ، صفوة التفاسير ، ص 188

[4] ينظر : عز الدين بن عبد السلام ، مجاز القرآن ، ص315

فالمعنى العام للآية هو التزام الله سبحانه وتعالى بحفظ إيمان الفتية و تثبيته في قلوبهم، فكأن الله سبحانه وتعالى يعدهم بذلك فيكون تقدير الكلام كما يلي:

فربطنا على قلوبهم ــــ الفعل الكلامي: ألتزم ــــ الفعل المنجز: الوعد

و أطراف هذه الرسالة هما : الله سبحانه وتعالى (المرسل)و أصحاب الكهف(المتلقي). وهي رسالة صريحة سهلة الفهم، يستطيع القارئ الوصول إلى مغزاها دون عمليات عقلية معقدة.

الموضع الثالث:

ويتمثل في قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ٢٩ ﴾ (29/الكهف)

حيث تعرب إنا: حرف نصب وتوكيد مشبه بالفعل، و النون المدغمة: ضمير متصل في محل نصب اسم إن. أما اعتدنا فهي بمعنى هيئنا، وهذه الجملة الفعلية وقعت خبرا لأن[1] ،وكما جاء في الإعراب فمعنى الآية هنا" هيأنا و أعددنا للظالمين"[2] ، وقد وقع المجاز في استعمال الزمن الماضي للدلالة على المستقبل، وهو استعمال معاكس للحقيقة لذا يعد من الصور المجازية.

وقد حملت هذه الصورة فعلا كلاميا منجزا وهو التهديد والوعيد، والذي هو فعل مباشر من قائمة الأفعال الوعدية حسب تصنيف الأفعال الكلامية وبذلك تصبح العبارة كما لي:

إنا اعتدنا للظالمين ــــ أعدكم ــــ فعل كلامي صريح= الوعد

الموضع الرابع:

وهو قوله تعالى:﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴾ (30/الكهف)

أي إننا لا نضيع ثواب من أحسن عمله وأخلص فيه بل نزيده وننميه،[3] و التجوز الوارد هنا يتمثل في تشبيه الأجر و الثواب بما هو مادي يمكن الحفاظ عليه و عدم تضييعه بمعنى أن الله سبحانه و تعالى لن يحول بين الأجر و مستحقيه كما يحال بين الشيء الضائع و صاحبه[4]

(1) – ينظر: بهجت عبد الواحد صالح ، الإعراب المفصل ، ص377

(2)– الزمخشري ، الكشاف ، ص619

(3)– ينظر:الصابوني ، صفوة التفاسير ، ص190

(4)– ينظر: عز الدين بن عبد السلام ،مجاز القرآن ، ص330

وهذا المجاز هو أحد أنواع مجاز التشبيه التي أوردها بن عبد السلام ويدخل ضمن مجاز تشبيه المعاني بالمعاني.

وتحمل هذه الآية فعلا كلاميا مباشرا وهو الوعد بغرض الترغيب، حيث يعد الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بحسن الختام وهو من الأفعال الوعدية حسب تصنيف أوستن وتقدير الآية هو:

إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا ـــ أعدكم بالأجر و الثواب على حسن العمل ـــ فعل منجز مباشر

الموضع الخامس:

قال تعالى: ﴿ **أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا** ﴾ (41/**الكهف**)

"فالغور: مصدر ، غار الماء؛ إذا ساخ الماء في الأرض. ووصفه بالمصدر للمبالغة. ولذلك فرع عليه ﴿**فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا** ﴿٤١﴾﴾ وجاء بحرف التوكيد النفي زيادة في التحقيق لهذا الرجاء الصادر مصدر الدعاء."(1)

وجاء في تفسير الآية: يغور ماؤها في الأرض فيتلف كل مافيها من الزرع و الشجر ، وحينئذ لا تستطيع له طلبا فضلا عن إعادته ورده.(2)

وهذه الآية تنتمي إلى مجاز التشبيه وهي صورة مجازية واضحة تحمل فعلا كلاميا مباشرا وهو الوعد، فالرجل الصالح يعلم عاقبة من يكفر بنعم الله عليه وفضله فكان في هذا الحوار يذكر صاحب الجنتين بوعد الله وعقابه رغم أن الآية جاءت بأسلوب التمني، إلا أن فعل الوعد كان أكثر ظهورا أو أكثر إنجازيه، فهو يعده بهلاك رزقه و أرضه عن طريق غور الماء ورجوعه إلى باطن الأرض مما يؤدي إلى جفاف الأرض وهلاك الزرع.

ومنه يمكن تفسير الآية كما يلي:

عسى أن يصبح ماؤها غورا ـــ انتظر العقاب ـــ الفعل الكلامي: الوعد

---

(1) – محمد الطاهر بن عاشور ،التحرير والتنوير، ص325

(2) – ينظر :الصابوني ، صفوة التفاسير ،ص192

الموضع السادس:

يقول تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾ (58/الكهف)

فالآية تعد العباد وتذكرهم بيوم القيامة والحساب يرون فيه الأهوال ولن يجدوا لهم فيه ملجأ ولا منجى، و المجاز الواقع في الآية تمثله كلمة (موعد) والتي تنتمي إلى مجاز التشبيه، فشبه يوم القيامة بالموعد لأنه سيلاقي العباد بخالقهم. والآية واضحة في معناها فهي تحمل فعلا كلاميا مباشرا وهو التحذير و الترهيب، فالله سبحانه وتعالى (المرسل) يعد العباد (المتلقي) ويؤكد لهم أن هناك يوم سيحاسبون فيه، وكما نعلم فالوعد ينتمي إلى قائمة أفعال الوعد و التكليف.

الموضع السابع:

ونجده في قوله تعالى ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾ (98/الكهف)

ويفسر ابن كثير هذه الآية بقوله :" أي إذا إقترب الوعد الحق (جعله دكا)أي ساواه بالأرض "[1]. و المجاز الذي تشتمل عليه هذه الآية يتمثل في التجوز بلفظ الفعل عن مقاربته ومشارفته فالمعنى العام للآية فإذا دنا مجيء موعد ربي جعله دكا[2]؛ فالمقصود إذن وقت المجيء وليست الوعد نفسه، وهو من باب تشبيه المعاني بالمعاني، والفعل الكلام الذي نستقرئه من الآية واضح في تفسير ابن كثير وهو الوعد وغرضه الترهيب.

الموضع الثامن :

يقول تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ﴾(100/الكهف)

والعرض هو البروز، فالآية تصور لنا مشهدا من مشاهد أهوال يوم الحساب وهي بذلك تعمل فعلا كلاميا واضحا وهو الوعد و الترهيب، وقد وقع المجاز في استعمال زمن الماضي للدلالة عن المستقبل لأنه أكيد الوقوع، وهذا المجاز في استعمال الزمن- جعل الفعل الكلام (الوعد) فعلا قويا مؤثرا على السامع.

---

(1) - ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ص179

(2) - ينظر :عز الدين بن عبد السلام ،مجاز القرآن، ص248-249

الموضع التاسع:

يقول الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا﴾ (102/الكهف)

" والنزل ما يقام للتنزيل وهو: الضيف ونحوه"[1] ،والمعنى العام للآية لقد هيأنا جهنم وجعلناها ضيافة لهم كالنزل المعد للضيف، وفيه تهكم مهم وتنبيه على أن لهم وراءها من العذاب ما تستحقر جهنم من دونه .[2]

ويقع مجاز الآية في استعمال أسلوب التهكم وتحمل نفس حكم الآية السابقة(يغاثوا بماء كالمهل) (29/ الكهف). ورغم هذا التهكم إلا أن المتلقي يستطيع أن يلتمس الفعل الكلامي الذي تشير إليه الآية وهو الوعد و الترهيب، وهو فعل مباشر وصريح، بل وهو الغرض الأساسي من الآية.

الموضع العاشر:

يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ (104/الكهف)

أي بطل عملهم وضاع في هذه الحياة الدنيا لأن الكفر لا تنفع معه طاعة[3]، و المجاز الذي وقع في هذه الآية واضح وهو من مجاز التشبيه، حيث "شبه الخارج عن الصواب في العقائد و الأقوال و الأعمال بمن ظل عن الطريق الموصل إلى الأغراض."[4] و الآية تشير إلى أن ثواب سيعيهم وعملهم سيكون العقاب لأنهم ظلوا وكفروا. وهذه الآية تابعة للآيات السابقة لها وتحمل معها نفس الفعل الكلامي وهو الوعد .

[1] – الزمخشري ،الكشاف ، ص630

[2]– ينظر :الصابوني ، صفوة التفاسير، ص207

[3] – ينظر:الصابوني ، المرجع نفسه ، ص207

[4] – عز الدين بن عبد السلام ، مجاز القرآن ، ص329

الموضع الحادي عشر:

ونجده في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ (107/**الكهف**)

ومعنى الآية واضح وسهل فهي تبشر المؤمنين بأعلى درجات الجنة وهي الفردوس منزلا ومستقرا[1]. أما المجاز الواقع في الآية فيتمثل في استعمال زمن الماضي والذي هو بغرض التأكيد دائما، حيث يساعد المتلقي على التيقن من الفعل الكلامي الذي تحمله الآية و الذي هو الوعد والتبشير وهو فعل كلامي واضح ومباشر.

و الملاحظ حول أفعال الكلام الوعدية أنها كثرت في آخر السورة وجاءت بغرضين متعاكسين، الغرض الأول هو الترهيب و الذي سيطر على جل الأفعال التكليفية الوعدية ذلك أن موضوع السورة هو الأخبار عن الأمم السابقة بغية الوعظ و الارشاد والغرض الثاني وهو الترغيب والتبشير ، والذي نجده في عدة مواضع من السورة ، وذلك ليحدث التوازن بين الغرضين تماشيا مع ما تشيره إليه الآية في قوله تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴾ (56/ **الكهف**)

وقد جاءت أفعال الوعد في السورة لتلزم المتلقي بفعل شيء اتجاه المخاطب و الفرق بين أفعال الوعد و التكليف و الأفعال التمرسية الطلبية يتمثل في اتجاه التكليف، فالأفعال الطلبية هي تكليف المتكلم المتلقي بشيء ما بينما أفعال الوعد هي تكليف المتكلم نفسه بفعل شيء لصالح أو ضد المتلقي.[2]

ثم إن أفعال الوعد في القرآن الكريم تتميز بكونها تهدف إلى الإصلاح وإيقاظ العقول، ولها مقاصد تتمثل في التأثير على أفكار المتلقي و أفعاله وجعله يخضع لأوامر الله ونواهيه.

---

(1)– ينظر :الصابوني ،صفوة التفاسير ، ص208

(2)– ينظر : نعمان بوقرة، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية ،مجلة اللغة والأدب ، ج17،ص197

د-الأفعال التعبيرية :

الموضع الأول:

يقع المجاز في قوله تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ﴾ (5/الكهف)

وقد قرئ هذا الجزء من الآية بقراءتين: " نصب على التمييز ، تقديره كبرت كلمتهم هذه الكلمة ،وقيل على التعجب وتقديره: أعظم بكلمتهم كلمة، كما تقول أكرم بزيد رجلا"[1] والمعنى العام للآية (عظمت تلك المقالة الشنيعة).[2] وهذا النوع من المجاز يدخل ضمن مجاز التشبيه، حيث شبه الكلمة- التي هي شيء محسوس-بالكبر الذي هو صفة عادة ما تكون فيما هو ملموس أو مرئي، لكن في هذه الآية جاء بالوصف على ما هو معنوي وهو قول المشركين (اتخذ الله ولدا). وهذا الاستعمال جعل الكلمة تنتقل من استعمالها الحقيقي لتشكل صورة مجازية جديدة.

أما الفعل الكلامي الذي نلمسه في هذا الجزء من الآية فهو واضح في تفسير ابن كثير لها وهو في تقديره الآية على التعجب(أعظم بكلمتهم)

كبرت كلمة ـــــ الفعل المنجز (التعجب)ـــــ التقدير: أعظم ـــــ فعل صريح مباشر

وحسب تصنيف الأفعال الكلامية ينتمي هذا الفعل إلى الأفعال العرضية التعبيرية ويمكن أن تفسر هذه الآية بالفعل الكلامي: الإنكار، و هو فعل من نفس القائمة بينما عناصر الخطاب هم: المرسل=الله عز وجل ، المتلقي = المشركون ، حيث ينكر الله قول وكفر المشركين .

الموضع الثاني:

ويتمثل في قوله تعالى: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ ﴾ (9/الكهف)

وتقع "أم: حرف عطف وهي منقطعة بمعنى حرف الاضراب(بل) لعدم وقوعها بعد همزة تسوية أو استفهام."[3]

---

[1] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ص1753

[2] – الصابوني ، صفوة التفاسير ص183

[3]– بهجت عبد الواحد صالح ، الإعراب المفصل، ص349

ويكمن المجاز في هذه الآية في استعمال الاستفهام غير الحقيقي، حيث يرى بن عبد السلام أن المعنى هو (بل حسبت)، فالمجاز وقع في استعمال الأداة في غير موضعها، إضافة إلى حذف اللفظة الدالة على القصة والتي قدرها بـ(واقعة أو شأن) أصحاب الكهف.[1] وكما أسلفنا فالحذف عند ابن عبد السلام أحد أنواع التجوز؛ حيث إن الحذف في هذا الموضع جعل الانتقال يكون بالدلالة على عموم القصة بالمقصوص- وتفسير هذه الآية عند صاحب الصفوة: "لا تظنن يا محمد أن قصة أهل الكهف-على غرابتها-هي أعجب آيات الله، ففي صفحات هذا الكون من العجائب والغرائب ما يفوق قصة أصحاب الكهف" .[2]

وإذا حللنا هذا التفسير وفق المنهج التداولي وجدناه يشير إلى الفعل الكلامي الذي تحمله هذه الآية وهو (النهي) مع التوكيد ، وهذا الفعل الكلامي جاء بصيغة مباشرة يصنف ضمن قائمة أفعال التعبير و العرض.

أم حسبت ـــــ التقدير: لا تظن ـــــ الفعل الكلامي المنجز:أؤكد ـــــ فعل مباشر

أما عناصر الخطاب في هذه الآية فهي: المرسل (الله جل وعلا)، المخاطب (الرسول عليه الصلاة والسلام) .

الموضع الثالث:

وهو قوله تعالى﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴾ (23/الكهف)

حيث نلمح صورة مجازية تكررت ثلاث مرات في هذه الآية وما تلاها وهي قوله تعالى: (سيقولون ثلاثة)

يقول الزمخشري في تفسيره هذه الآية أن " الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب والمشركين ".[3]

أي أن أطراف العملية التواصلية هاهنا كما يلي:

---

(1) – ينظر :عز الدين بن عبد السلام ، الإشارة إلى الإيجاز ، ص168

(2)– الصابوني ، صفوة التفاسير ، ص183

(3)– الزمخشري ،الكشاف، ص616

- المرسل: المجادلون في شأن أهل الكهف في زمن الرسول(ص).
- المتلقي: الرسول عليه الصلاة والسلام.

وقد وقع المجاز في هذا الجزء من الآية بحذف المبتدأ(هم)، أي أن التقدير: هم ثلاثة، وكذلك : (هم خمسة) ..،وكذلك هم سبعة.[1] وقد عده ابن عبد السلام من أضرب المجاز القرآني لأن العبارة فيه ليست تامة بذلك فهو استعمال غير حقيقي، وهو تصنيف ضعيف لأن غرض الحذف هنا هو التخفيف ولم يتبين لنا وجه التجوز فيه.

أما بمقياس المنهج الذي نعمل به، فهذه الآية حاملة للفعل الكلامي(أظن/ نظن) في إشارة إلى تنبؤات المجادلين عن عدد الفتية وتكون العبارة بذلك كما يلي:

سيقولون ـــــ الفعل المنجز: نظن ـــــ الأفعال العرضية التعبيرية

الموضع الرابع:

ويتمثل في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ (35/ **الكهف**)

ومعنى الآية أن صاحب الجنتين ظلم نفسه بكفره وتكبره و إنكاره للمعاد ويوم الحساب.[2]

والمجاز الواقع في هذه الآية هو التعبير عن الأحداث بنتيجتها، فجاءت عبارة ظالم لنفسه للدلالة عن مافعله صاحب الجنتين من تكبره وافتخار وهو مجاز في الأسلوب المستعمل كالدلالة عن المطر بالرزق في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾(**الجاثية /5**)

وقد حملت هذه الصورة المجازية فعلا كلاميا مباشرا يظهر لنا من خلال تفسير ابن كثير هو الإنكار. وقد جاء بصيغة مباشرة يستطيع المتلقي الوصول إليها بسهولة و (أنكر) من الأفعال الكلامية التي تنتمي إلى قائمة الأفعال التعبيرية، وبذلك يكون تقدير الآية كما يلي:

وهو ظالم لنفسه ـــــ أنا أنكر فضل الله علي ـــــ فعل كلام مباشر من الأفعال التعبيرية

---

(1) – ينظر: ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ص1768

(2) – ينظر: ابن كثير ، المرجع نفسه ، ص1768

و أطراف العملية التواصلية هنا هم:

المرسل: صاحب الجنتين.

أما المتلقي فيحتمل تأويلين: – الله سبحانه وتعالى: لأن المرسل في حالة الإنكار.

–الرجل المؤمن: لأن صاحب الجنتين في حالة تفاخر.

الموضع الخامس:

ويتمثل في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (36/الكهف)

تخبرنا الآية بجحود صاحب الجنتين، حيث أنكر فناء جنته و أنكر البعث والنشور[1] ،وهذه الصورة المجازية استعارة مكنية، حيث شبهت الساعة (يوم القيامة) بالإنسان فحذف المشبه به وجيء بلازمة من لوازمه وهي القيام الذي هو بمعنى القدوم.

وهذه الصورة تحمل فعلا كلاميا مباشر واضحا من خلال تفسيرها وهو الجحود و الإنكار حيث يفهم المتلقي من خلالها أن صاحب الجنتين كفر بقيام الساعة بعد أن رأى جمال ملكه. و الإنكار هو أحد الأفعال التعبيرية.

الموضع السادس:

يقول تعالى: ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ (48/الكهف).

و الآية في خطاب المشركين الذين ما كان ظنهم أن هذا واقع بهم ولا أن هذا كائن[2]. وقد وقع المجاز في قوله تعالى:(موعدا) التي هي– كما سبق أن شرحناها–دلالة على يوم البعث وهي صورة من باب التشبيه، حيث يسمى وقت اللقاء المتفق عليه موعدا كذلك شبه يوم القيامة بالموعد لأنه متفق على وقوعه، وتحمل هذه الآية فعلا كلاميا معاكسا لظاهر لفظها وهو التأكيد، فظهر الآية يشير إلى شك المشركين في وقوع الموعد ولكن المتلقي يتأكد من خلال الأسلوب الذي جاءت به من وقوع الحدث في موعده، ومنه فالفعل الكلامي هاهنا التاكيد هو فعل مباشر.

[1] – ينظر:الصابوني ، صفوة التفاسير، ص192

[2] – ينظر :ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ص1773

الموضع السابع :

في قوله تعالى ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي ﴾ (50/**الكهف**)

الهمزة في (أفتتخذونه)للإنكار والتعجب، كأنه قيل: أفعقب ما وجدتم منه تتخذونه وذريته أولياء من دوني وتستبدلونهم بي[1]. وقد اشتملت الآية على استعمال مجازي لأسلوب الاستفهام ،والمعلوم أن الاستفهام بالهمزة يتجوز به عن النفي و الإيجاب و التقدير والتوبيخ[2]. وهذا الأخير هو الغرض الذي يفهمه المتلقي من المعنى العام للآية.

وقد أوضح لنا التفسير أن الفعل الكلامي الذي يمكن أن نلتمسه وهو الإنكار، فالله سبحانه وتعالى ينكر على عباده اتباعهم للشيطان وذريته واتخاذهم أولياءا لهم من دون الله سبحانه وتعالى. وهذا الفعل الكلامي فعل مباشر ينتمي إلى قائمة الأفعال التعبيرية حسب تصنيف أوستن وسيرل.

الموضع الثامن :

يقول تعالى: ﴿ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ﴿٥٣﴾ ﴾ (53/**الكهف**)

أي "أيقنوا أنهم مخالطوها وواقعون فيها."[3] وقد وقع المجاز في هذه الآية في استعمال الظن تجوزا بمعنى العلم لاشتراكهما في الرجحان، وهذا التجوز هو النوع الثاني والستون من أنواع المجاز التي أشار إليها ابن عبد السلام في كتابه وقدم له بعده أمثلة من القرآن الكريم.[4]

والفعل الكلامي الذي يظهر لنا من خلال هذه الآية هو التأكيد، فالمجرمون لما رؤوا نار جهنم تأكدوا و أيقنوا أنهم واقعون فيها. وهو فعل كلامي مباشر يؤكده نص التفسير، وهو من قائمة الأفعال التعبيرية.

---

(1) – ينظر: الزمخشري ،الكشاف ، ص622

(2) – ينظر :عز الدين بن عبد السلام ، مجاز القرآن ، ص150

(3) – الزمخشري ، الكشاف ، ص623

(4)– ينظر:عز الدين بن عبد السلام ، مجاز القرآن ، ص368

الموضع التاسع:

يقوله سبحانه و تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴾ **(57/الكهف).**

أي جعلنا على قلوبهم أغطية تحول دون فقه هذا القرآن و إدراك أسراره و الإنتفاع بما فيه من المواعظ و الأحكام.[1]

ويقع المجاز في هذه الآية في تشبيه الظلال بالغلاف الذي يغلف القلب فيمنعه من الهداية. والمعنى العام في هذه الآية يشير إلى فعل كلامي مباشر وهو تأكيد ظلال المشركين الذين يعجزون عن فهم آيات الله وهداه. وهو فعل صريح من أفعال التعبير العرضية.

الموضع العاشر:

نجده في قوله تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾ **(74/ الكهف)**

أي :" أقتلت نفسا طاهرة لم ترتكب جرما ولم تقتل نفسا حتى تُقتَل به"[2]،وقد استعملت الآية أسلوب الاستفهام، وهو استعمال مجازي ذلك أن سيدنا موسى في حالة إنكار و تعجب من فعل الرجل الصالح وليس في موضع استفهام. وهي تشير إلى فعل كلامي واضح ومباشر ينتمي إلى قائمة الأفعال التعبيرية وهو الإنكار.

وقد وجدت الأفعال التعبيرية بكثرة في سورة الكهف وهذا راجع للمواقف المختلفة التي تحكيها القصص الواردة فيها ، والتي تقتضي استعمال السرد والحوار مما يجعل الأفعال الكلامية تعبيرية بطبيعتها .

---

[1] – ينظر :الصابوني ، صفوة التفاسير ، ص197

[2]– الصابوني ، المرجع نفسه ، ص200

هـ-الأفعال الإخبارية السلوكية:

وتمثل هذه القائمة كل فعل يعبر عن سلوك أو سيرة المتكلمين الاجتماعية مثل: الشكر و الاعتذار و التعاطف و التهنئة.. ، كما تشمل الأفعال التي تعنى بالتبليغ و الإخبار :أعلم، أخبر، أنبأ[1] . وهي بصفة عامة أفعال تبين لنا موقف المتكلم من مسألة معينة أو موضوع ما. ذلك أن المتكلم يستعملها في مقاسات معينة ليبين سلوكه ومشاعره تجاهها.

الموضع الأول:

نجده في قوله تعالى:﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾(32/**الكهف**)

والمثل قسم من الحِكَم ، يرد في واقعة اقتضت وروده فيها ، وهو يختصرها ، ثم يتداولها الناس في غير واحد من الوقائع التي تشابهها دون أدنى تغيير لما فيه من وجازة وغرابة ودقة في التصوير .[2]

ويعد تشبيها تمثيليا، لأن وجه الشبه فيه منتزع من متعدد[3]، وقد حملت هذه الآية فعلا كلاميا صريحا وهو الإخبار فالآية تنبئنا بقصة صاحب الجنتين بغرض العلم والاعتبار.

وكذلك تحمل الآية ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (45/**الكهف**) نفس الفعل الكلامي.

الموضع الثاني:

ويقع في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ (34/**الكهف**)

فصاحب الجنتين هنا يفتخر على صاحبه المؤمن الذي يجادله يقول "أنا أغنى منك وأشرف ، و أكثر أنصارا و خدما".[4]

---

[1]- ينظر: فرانسواز أرمينيكو ، المقاربة التداولية ، ص 62

[2]- ينظر : أبو هلال العسكري ، جمهرة أمثال العرب ، تح : أحمد عبد السلام ،ج 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1988/1، ص 15

[3]- ينظر: الصابوني ،صفوة التفاسير ، ص195

[4]- الصابوني ، المرجع نفسه ، ص191

فالصورة المجازية هنا تتمثل في الدلالة عن الغنى الشرف بصورة أو مظهر من مظاهره وهو كثرة الخدم و التابعين، فالانتقال بالدلالة هنا عن طريق العلاقة السببية، وهو من صور المجاز المرسل.

أما الفعل الكلامي الذي تحمله هذه الصورة المجازية فهو الإخبار بغرض التفاخر . فصاحب الجنتين هنا يفاخر الرجل المؤمن بإخباره عما يملكه وهذا النوع من الأفعال يدخل ضمن قائمة الأفعال الإخبارية (السلوكية) حسب تصنيف أوستن و سيرل، ومنه تكون الآية كما يلي:

أنا أعز نفرا ـــــ التقدير: أنا أملك خدما أكثر منك ـــــ فعل كلامي مباشر ـــ الأفعال الإخبارية

الموضع الثالث:

في قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ (42/الكهف)

و أحيط به عبارة عن إهلاكه و أصله من أحاط به العدو، لأنه إذا أحاط به فقد ملكه واستولى عليه، ثم استعمل في كل إهلاك.... أما تقليب الكفين فهو كناية عن الندم و التحسر، لأن النادم يقلب كفيه ظاهرا على البطن[1]، وهاتان الصورتان المجازيتان كناية تحمل لنا فعلا كلاميا مباشر يستطيع المتلقي أن يصل إليه بسهولة وهو الندم و التحسر اللذان ينتميان إلى قائمة الأفعال الإخبارية السلوكية.

الموضع الرابع:

ويتمثل في قوله تعالى: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾ (46/الكهف)

يقع المجاز في هذه الآية في حذف كلمة (أهل) ونسب الزينة للحياة[2]، فكان التجوز بانتقال المعنى إلى الحياة مما يوهم القارئ للوهلة الأولى بأن المال و البنون أهم شيء في حياة كل

(1)– ينظر :الزمخشري ،الكشاف، ص621

(2) – ينظر:عز الدين بن عبد السلام الإشارة إلى الإيجاز، ص170

المخلوقات بينما المعنى الأساسي يشير إلى أن العمل الصالح أهم منهما وخير منهما للإنسان وهذا ما تؤكده بقية الآية ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ (46/الكهف)

فالمال والبنون هم شغل أهل الحياة الدنيا أي المتعلقون بالدنيا ومفاتنها. وقد حملت هذه الآية فعلا كلاميا مباشرا وهو الإعلام والذي هو من الأفعال الإخبارية السلوكية.

الموضع الخامس:

يتمثل في قوله تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (49/الكهف)

أي وجدوا عملهم مكتوبا مثبتا في الكتاب[1]. وهذه الآية من الناحية البلاغية استعارة مكنية شبه فيها العمل بالانسان فحذف المشبه به وجيء بلازمة منة لتعوضه، فاستعير معنى الحضور تجوزا للدلالة على ثبوت العمل وعدم ضياعه أو نسيانه وتقدير الكلام "ووجدوا ما عملوا مكتوبا في صحائف أعمالهم. "[2]

وقد حملت هذه الآية فعلا كلاميا مباشرا يفهم من خلال سياق الآية وهو الندم والذي هو من الافعال السلوكية الإخبارية.

الموضع السادس:

ويتمثل في قوله تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴾ (56/الكهف)

أي ما نرسل الرسل إلا لغرض التبشير و الإنذار لا للهلاك و الدمار، مبشرين لأهل الإيمان ومنذرين لأهل العصيان.[3] ويقع التجوز في هذه الآية في استعمال زمن الحاضر للدلالة على المتلقي في إشارة إلى أن وظيفة الرسل كانت من أجل صالح الإنسان وأن الرسالة السماوية صالحة لكل زمان ومكان. وقد حملت لنا هذه الآية فعلا كلاميا واضحا يستطيع المتلقي الوصول إليه بسهولة وهو الإعلام، فالآية تخبرنا بأمر الرسل ووظيفتهم بطريقة مباشرة وتقدير الكلام،

---

(1)– ينظر:الصابوني ، صفوة التفاسير ، ص194

(2)– الزمخشري ، الكشاف ، ص622

(3)– ينظر:الصابوني ، صفوة التفاسير ، ص196

اعلموا أنا ما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين. وهو فعل كلامي مباشر من الأفعال الإخبارية السلوكية.

الموضع السابع:

ويتمثل في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾(64/الكهف)

أي قال موسى هذا الذي نطلبه ونريده لأنه علامة على غرضنا وهو لقاء الرجل الصالح.[1] وهذه الصورة المجازية كناية عن تسليم سيدنا موسى عليه السلام بقضاء الله وقدره، فتقدير الكلام: (نرحب بما حصل من قضاء) وهذا فعل كلامي مباشر من الأفعال السلوكية الاخبارية يستطيع المتلقي استشعاره من خلال المعنى العام للآية.

الموضع الثامن:

ويتمثل في قوله تعالى: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ (77/الكهف)

أي "لو شئت لطلبت على عملك جعلا حتى ننتعش، ونستدفع به الضرورة".[2] وقد وقع المجاز في الأسلوب الذي جاءت به الآية والذي يوحي بعكس موقف سيدنا موسى عليه السلام وحيث إنه وقف معارضا له في هذا التصرف وأنكر عليه فعله فقال له: لو شئت لجعلته سببا للحصول على الأجر. ومنه فالفعل الكلامي الذي يمكن أن نستخرجه من هذه الآية هو المعارضة وهو من الأفعال السلوكية و الإخبارية.

الموضع التاسع:

وهو قوله تعالى : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ (79/الكهف)

أي "كان لهم ملك كافر طالم يغتصب كل سفينة صالحة لا عيب فيها".[3] و المجاز الواقع في هذه الآية هو انتقال المعاني بسبب الحذف. فقد حذفت كلمة (صالحة) في قوله (كل سفينة) وذلك لدلالة لفظ (أعيبها) عليها، وكذلك حذفت لفظة(كافر) من قوله (وأما الغلام) لدلالة قوله تعالى:

---

[1] – ينظر:الصابوني ، صفوة التفاسير ، ص198

[2] – الزمخشري ، الكشاف ، ص 627

[3] – الصابوني ، صفوة التفاسير: ص201

(وكان أبواه مؤمنين) عليه[1]. والمعنى العام الذي نستشعره من الآية هو الإخبار، فالرجل الصالح في موضع تبرير لما جاء به من تصرفات غريبة عجز سيدنا موسى من فهمها ويؤكد قوله (سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) الفعل الكلامي الإخبار لهذه الآية وهو فعل مباشر وصريح.

إن هذا التنوع في الأفعال الكلامية المباشرة في هذه السورة راجع لتنوع الأساليب والمواضيع التي تتناولها والتي تراوحت بين السرد والحوار والترغيب والترهيب والخبر والإنشاء...

ب - الأفعال الكلامية غير المباشرة :

وهي النوع الثاني من الأفعال الكلامية وتعتمد –على عكس الأفعال المباشرة- على عمليات عقلية متتابعة في فهمها والوصول إليها. حيث إن المتكلم قادر على التعبير عن مقاصده بشكل مباشر يطابق ملفوظه المعنى الظاهري له، وقد يعدل من ذلك فيلمح بالقصد غير مفهوم الخطاب المناسب للسياق، لينتج عنه دلالة يستلزمها الخطاب ويفهمها المرسل إليه، وهذا يؤدي بنا إلى نتيجة مهمة هي مركزية السياق ودوره في منح الخطاب دلالته التعبيرية وتبليغ القصد.

وهذا يعني أن لكل خطاب معنى مباشر تدل عليه ألفاظه حسب ما وضعت له، ولها قوتها الإنجازية التي تشير إليها، إلا أنه –وفي المقابل- يؤدي السياق دورا معاكسا قد يمنح للخطاب أكثر من قصد. " فلم يعد الإخبار هو القصد الوحيد عند المرسل، وإن عددناه واحدا من مقاصده، فليس القصد الرئيس، إذ يختبئ وراءه قصد آخر، اختار المرسل الإستراتيجية التلميحية للدلالة عليه، وهو إما الرفض أو التهكم-مثلا- ولذلك لم يستعمل المرسل صيغة الخطاب المباشر. " [2]

ثم إن للأفعال الكلامية غير المباشر خصوصية تختلف عن الأفعال الكلامية المباشرة، حيث يحدد معناها بتفسيرها الظاهري، أما قوتها الإنجازية فتحدد بالتحقيق غير المباشر الذي ينتج عنها. وقد فسرت هذه المسألة باللطافة و التأدب. بوصفها سببا أساسيا باطنيا لاستخدام الاسلوب غير المباشر، فهو قدرة يمتلكها المتكلم و المتلقي معا، كما يمكن تفسيره بما هو متعارف عليه من طبائع وعادات، لكنه في غالب الأحيان استجابة لدواع سياقية تجعل المرسل يعدل عن استعمال الخطاب المباشر للأسباب التي ذكرناها أو ما شابهها. ومنه فالفعل الكلامي غير المباشر يتمثل في تلك الأقوال الخارجة دلالتها عن مقضى الحال- حسب الرؤية البلاغية- وهي أفعال سياقية لا

---

(1)- ينظر: الصابوني ، صفوة التفاسير، ص202

(2) –عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص368

يدرك معناها إلا من خلال قرائن لسانية ومقامية وحالية، وأضرب الاستدلال العقلي(العمليات الذهنية).

ثم إن للمتكلم (المرسل) دور مركزي في تحقيق إنجاز الفعل الكلامي غير المباشر، فهو ينجز أفعال لغوية غير مباشرة باستعمال أفعال لغوية أخرى تدل على معنى آخر غير الذي وجدت له في حقيقتها، فتتولد عنها معان أصلية وترد في سياقات تناسب المقام، ويكون ذلك بواسطة ما يسمى بقرائن الحال.[1]

وقد أفردت الكتب البلاغية باب الخروج على مقتضى الحال عناية كبيرة و أوضحت وفصلت فيه – فقد يرد الكلام بأسلوب إنشائي، كالاستفهام أو النداء أو الأمر أو النهي إلا أنها تكون موضوعة لغرض معين غير ظاهر لفظه وذلك لتحقيق أغراض بلاغية وتواصلية تفهم من خلال السياقات المقامية التي ترد فيها، وبهذا يختل أحد شروط إجراء المعنى الأصلي ويتولد معنى آخر جديد هو قصد المتكلم.

و للمتكلم في النص القرآني دور رئيس على مستوى التركيب الخاص به، حيث يمكن أن تنتقل دلالة التركيب كلها من غرض معين إلى غرض آخر بعيدا عنه، فيتحول التهكم مثلا إلى عظة و إرشاد، أو يتحول الأمر إلى تهديد أو ترغيب.....وقد وجدنا عددا من الأمثلة الدالة على ذلك في مجازات سورة الكهف سنعرضها في مايلي:

ثم إن للسياق و للمتلقي أيضا دورا موازيا لدور المتكلم في إنجازية الفعل الكلامي غير المباشر. فالمتكلم حين يستعمل آلية لا يرتبط فيها اللفظ و القصد برابط لغوي، فهو يعتمد على ارتباطهما ببيان القصد وبمساهمة عناصر السياق الموظفة. فالمتلقي لا يدرك معناها إلا من خلال القرائن و أضرب الإستدلال العقلي، كأن يرد المخاطب على السائل ردا لا يصلح حرفيا أن يكون جواب عما سئل، فيكون بواسطة القرائن السياقية قد أجاب عما سئل عنه في مقام التعريض وهو ما يسمى بالاستلزام الحواري.[2] وهو يشمل الكناية و المجاز و التلميح وكل ما أريد به غير ما وضع له أو ما خالف ظاهره باطنه.

وللأسلوب غير المباشر في تبليغ المقاصد فضل كبير في تيسير بعض تلك المقاصد على المتكلم والتي يمكن أن يمنعه منها سبب معين كالتأدب، أو الحياء، أو الخوف.... وقد استعمل في القرآن الكريم بعدة وجوه منها التعريض و الكناية و التهكم......

---

(1) – ينظر:عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص389

(2) - ينظر:نعمان بوقرة، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية ، ص199

ولقد تجاوزت الأفعال الكلامية في القرآن الكريم صيغتها المباشرة إلى معنى غير مباشر ،وذلك في سياق الإشارة إلى إمكانية مخالفة ظاهر اللفظ لمراد المتكلم، فتتحول الأفعال الكلامية بوجود جملة من القرائن المقالية والمقامية يختارها المرسل لتحقيق قصد معين. وقد ارتبط الوضع بالقصد في أسلوب القرآن الكريم مما أدى إلى كثرة تلك الأفعال التي تخرج عن حقيقتها وتتجاوز ظاهرها إلى مقاصد أخرى يرمي القرآن الكريم إلى تحقيقها.

وقد كان للمجاز دور ميسر في تحويل معاني الأفعال الكلامية إلى مقاصدها الحقيقية-غير المباشرة-التي وضعت لها، حيث إن استعمال اللفظ لغير ما وضع له (مجازا) يعين المتلقي على الاستدلال العقلي لاكتشاف قصد المخاطب.

وفي إحصائنا للأفعال الكلامية غير المباشرة لمجازات سورة الكهف وجدنا أنها تنقسم- حسب إنجازاتها- إلى نوعين:

أ-**أفعال الوعظ و الارشاد:** وهي تدعو المتلقي إلى فهم الرسالة و استقراء ما تحمله من وعظ و إرشاد ودعوة لتجنب زلات السابقين والنجاة من الهلاك ونجدها في المواضع التالية:

الموضع الأول:

ويتمثل في قوله تعالى﴿ **أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾** ﴾ (9/**الكهف**)

حيث تحمل هذه الآية معنى الوعظ، فنقول: إنها حاملة للفعل الكلامي غير المباشر (اعتبروا) ذلك باعتبار المتلقي(المؤمنون)، ومكونات هذا الفعل هي:

1-فعل القول: والذي يتمثل في ملفوظ الآية(المكونات الصوتية و التركيبية).

2-الفعل المنجز: و الذي هو كما ذكرنا(أؤكد لك يا محمد)، أو كما جاء في تفسير صاحب الصفوة: (لا تظنن يا محمد....)

3-الفعل التأثيري: وهو الفعل الذي يفهم من عموم آيات قصة أهل الكهف والذي قدرناه بالوعظ و الدعوة للاعتبار.

الموضع الثاني: ويتمثل في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا﴾ (17/ الكهف)

ويعرب الفعل "(ترى) فعلا مضارعا مرفوعا بالضمة المقدرة على الألف للتعذر، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنت"[1]. وهنا يقع المجاز، وهو استحضار المخاطب داخل أحداث القصة، ومعنى الآية هو:" لو حضرت لرأيت ذلك، ومثله قوله لا ترى إلا مساكنهم ،وهذا من باب الإخبار بتقدير حضور المخاطب"[2]

إذا فالمجاز هنا مجاز في الأسلوب وليس في اللفظ، حيث خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة رغم كون المخاطب غائبا وقت الحدث. وغرضه واضح وهو شد الانتباه إلى باقي أحداث الواقعة. ومنه يمكن اعتبار هذا الغرض فعلا كلاميا غير مباشر يفهم عبر عمليات عقلية متعددة. حيث يتكون هذا الفعل من:

1-فعل القول: وهو ملفوظ الآية

2-الفعل المنجز: هو الغرض المباشر من الآية: شد الانتباه

3-الفعل التأثيري: وهو الغاية التي تهدف إليها الآية والتي تفهم من السياق العام للقصة وهو الوعظ و الإرشاد.

الموضع الخامس:

يقول تعالى: ﴿٤٥ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾ (46/الكهف).

وقد سبق أن بينا أن هذه الآية تحمل فعلا كلاميا مباشرا تقديره الإعلام، كما أنها تحمل فعلا كلاميا غير مباشرا يدعوا للعظة و الإرشاد ويتكون من :

1-فعل القول: ويتمثل في ملفوظ الآية.

2 -الفعل الإنجازي: وهو الإعلام ، تقديره أعلموا تبينوا.

---

[1] – بهجت عبد الواحد صالح ، الإعراب المفصل ، ص358

[2]– عز الدين بن عبد السلام ، الإشارة إلى الإيجاز، ص168

3-الفعل التأثيري: وهو الدعوة للتركيز عن العمل الصالح وعدم الانشغال بزينة الحياة الدنيا .(الوعظ و الإرشاد) .

ب-أفعال الترهيب:

وهي التي تهدف إلى ترهيب المتلقي وتنذره بما يمكن أن يلقاه من العذاب في حال المعصية ،وهذا الأسلوب من أشهر الأساليب التي يستعملها الخطاب القرآني حيث يستعمل ذكر العواقب مع مجموعة من الأوامر والنواهي تختم بإظهار العاقبة في الأخير، أو ما يسمى بالجزاء في القرآن الكريم، والذي ارتبط أساسا بالوعد والوعيد، وهذا يناسب السياق الذي وردت فيه الآيات المرتبطة بأداء الواجبات وترك المحرمات. و الوعيد في القرآن يتنوع تنوعا عجيبا حسب اختلاف طبيعة النفوس و اختلاف البيئات فالعامة من الناس الذين يكتفون من الحياة بظاهرها وسطحها يغلب على وعيدهم التخويف بالعقاب الجسدي كعذاب جهنم ولهيبها، أما الخاصة كالسادة وذوي الزعامةو فإن وعيدهم يتميز بطابع الإذلال و الإهانة.[1]

ونجد الأفعال التي وضعت لهذا الغرض في سورة الكهف في المواضع التالية:

الموضع الأول:

ويتمثل في قوله تعالى: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾(11/الكهف)

يقول الزمخشري في تفسيره لهذه الآية"أي ضربنا عليها حجابا من أن تسمع يعني: أنمناهم إنامة ثقيلة لا تنبههم فيها الأصوات كما نرى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه. فحذف المفعول و الذي هو الحجاب."[2]

والمجاز الذي نلمسه من خلال هذه الآية يتمثل في الدلالة عن النوم الثقيل بمظهر من مظاهره وهو ثقل السمع فالعلاقة الانتقالية للدلالة هي علاقة الجزء بالكل. والتي هي إحدى العلاقات التي أشار إليها البلاغيون. وإذا أخضعنا هذه الآية على المجهر التداولي وجدناها حاملة لفعل كلامي غير مباشر والذي هو دعوة للإنتباه إلى قدرة الله وحكمته في شؤون خلقه. وأطراف الخطاب هنا هما: المرسل(الله سبحانه وتعالى)، المتلقي (السائلون عن نبأ أهل الكهف) ، وتقدير المعنى العام لهذا الخطاب هو: أنظروا يا عبادي إلى قدرتي و اعتبروا. وهي تحمل فعلا كلاميا منجزا وهو الترهيب. كما يلي:

---

[1]- ينظر: عبد الحليم حنفي ، أسلوب الوعيد في القرآن الكريم ، مكتبة الآداب القاهرة ، ط2000/1 ، ص3

[2]- الزمخشري ، الكشاف ، ص613

1-فعل القول: وهو فعل الآية:(فضربنا على آذنهم سنين عددا)

2-الفعل المنجز: وهو : أنظرو إلى قدرة الله جل وعلا.

3-الفعل التأثيري: الترهيب.

الموضع الثاني:

ويتمثل في قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾(29/الكهف)

وهو" تشبيه مرسل مفصل لذكره الأداة ووجه الشبه"[1] وهي صورة بيانية واضحة تدخل ضمن مجاز التشبيه. وللمعنى العام للآية هو أن الكافرين يغاثون بماء شديد الحرارة كالنحاس المذاب أو كعكر الزيت المحمى يشوي وجوههم إذا قرب منهم من شدة الحر.[2]

والمجاز الواقع في هذه الآية هو الجمع بين الغوث الذي هو المساعدة وماء المهل الذي هو العذاب. فالآية تحمل تهكما بالمشركين، إذ لا غوث فيما يشوي الوجوه.[3] فاستعملت اللفظة للدلالة على شيء لم يحدث، وهذه الصورة المجازية تحمل فعلا كلاميا غير مباشر وهو الترهيب، فالمتلقي سيدرك من خلال هذا التهكم حجم العذاب الذي أعده الله للمشركين، وهو فعل يهدف إلى الترهيب ،يمكن حمله على الوعد ومكوناته هي:

1-فعل القول: ويتمثل في ملفوظ الآية: يغاثوا بماء كالمهل.

2-الفعل الانجازي: وهو التهكم .

3-الفعل التأثيري: الترهيب .

---

(1)- الصابوني ، صفوة التفسير ، ص195

(2)-ينظر: الصابوني ، المرجع نفسه ، ص190

(3)- ينظر: عز الدين بن عبد السلام ،مجاز القرآن ، ص261

الموضع الثالث:

ويتمثل في قوله تعالى: ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا﴾ (58/الكهف)

وهذه الآية تحمل-كما وضحنا- فعلا كلاميا مباشرا يتمثل في الوعد. كما أنها تحمل فعلا كلاميا غير مباشرا يتكون من:

1-فعل القول: وهو الملفوظ الذي جاءت عليه الآية.

2-الفعل الانجازي: وهو الوعد بغرض الترهيب.

3-الفعل التأثيري: وتقديره :إستعدوا وإعملوا لتجنب العقاب (الترهيب عن طريق النصح) .

الموضع الرابع:

ويتمثل في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾(59/الكهف)

"(تلك القرى) يريد: قرى الأولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم وقد أشار لهم إليها ليعتبروا، ف(تلك) مبتدأ، والقرى بدل، لأن أسماء الاشارة توصف بأسماء الأجناس و (أهلكناهم) خبر، .... والمعنى: وتلك أصحاب القرى أهلكناهم"(1) فوقع المجاز بانتقال المعنى إلى القرى مباشرة بسبب الحذف بينما المقصود هو أهل القرى، وقد حملت الآية فعلا كلاميا غير مباشر يتكون من:

1-فعل القول: ويتمثل في ملفوظ الآية الظاهر.

2-الفعل الإنجازي: تقديره: أنظرو واعتبروا.

3-الفعل التأثيري: تدعوا لتجنب أخطاء تلك القرى و إتباع هدى الله للنجاة من الهلاك (الترهيب).

والملاحظ على الأفعال المستخرجة أنها تظهر من خلال ما ينجزه المتلقي من أفعال فعلية أو قولية . وبعد هذه الإحصائية نصل إلى أن النص أو الخطاب ، أيا كان نوعه ، فهو يحمل قوة إنجازية مباشرة أو غير مباشرة يمكن لمحلل الخطاب استخراجها وتصنيفها ضمن أنواع أفعال الكلام التي وضعها أوستن وسيرل.

(1) - الزمخشري ، الكشاف ، ص623 .

الفصل الثاني:

المقصدية والحجاج في مجازات سورة الكهف

المبحث الأول :

القصد في مجازات سورة الكهف

المبحث الثاني :

الحجاج في مجازات سورة الكهف

المبحث الأول : المقصدية في مجازات سـورة الكهف

إن دراسة المجاز من خلال رؤية تداولية تتشعب في عدة زوايا لتعدد الأفكار و الوسائل التي يقوم عليها المنهج التداولي ، و من هذه الزوايا فهم المجاز بوصفه وسيلة لغوية تواصلية غير مباشرة ، و تفسيره على مستويين متكاملين هما: مستوى التواصل و التفاعل البشري ، و المستوى الأدبي و الفني اللغوي. و كذلك ترجمة الرسالة المجازية عند المتلقي ، و ما يترتب على عملية الترجمة من انتقال الدلالة من السياق الذي أنتجت فيه إلى سياق التلقي و ما يحكمه من ميزات مختلفة خاصة ما يتعلق بالسياق الثقافي و الاجتماعي .

ثم إن لكل صورة فنية في القول وظائف تداولية تكون متضمنة فيه ، و تتمثل هذه الوظائف في الغرض أو المقصد ، و الذي يعرف بأنه " إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحل القبول ، لتتأثر بمقتضاه."(1)

و قد كان لهذا العنصر دور محوري في الدراسة البلاغية العربية ، حيث أُعتبرا أساسا يجب مراعاته في بناء التواصل ، فيكون الكلام بذلك قسمين : قسم مباشر يطابق لفظه معناه ، و قسم غير مباشر يخالف ظاهره باطنه و الذي يسمى في الدرس البلاغي الخروج على مقتضى الحال .

و قد عني تراثنا العربي بالقصد و أثره في توجيه الدلالات اللغوية للوقوف على المضمر منها، انطلاقا من أن الكلام – أيا كانت لغته – لا يخرج عن المقصود الذي وضع له .فهو يشكل " قوة الدفع للتواصل الكلامي "(2) ، كما أن الأصل في الكلام المقصد ، فلا يتكلم الإنسان إلا و

---

(1)– حازم القرطاجني ،منهاج البلغاء و سراج الأدباء ، تح : محمد الحبيب خوجه ، دار الكتب الشرقية/ تونس ، دط / 1966 ، ص360

(1)–بن عيسى أزابيط، المعنى المضمر في الخطاب اللغوي العربي :البنية والقيمة التنجيزية ، مقاربة تداولية لسانية ، أطروحة دكتوره ، جامعة مولاي إسماعيل ،مكناس / المغرب ،1997/1996،ص 497.

هو قاصد إلى تحصيل أمر من الأمور...[1] ، و قد جعلت اللغة ترجمانا عما في الضمائر من تلك المقاصد، فهي في المتعارف عبارة المتكلم عن مقصوده[2] .

كما أشار " **ابن جني** " إلى القصد في تعريفه للغة بقوله : " حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "[3] . و قد وضع النحاة القصد كشرط أساسي لتصنيف الملفوظات . فالكلام هو القول المفيد بالقصد، و المراد بالقصد هنا ما دل على معنى يحسن السكوت عليه ، و كان العلم به ضروريا لإفادة الكلام [4] .

و بهذه الإشارات نلمس أهمية القصد في تراثنا البلاغي و النحوي .

و قد انتقل هذا الاهتمام إلى الدرس التداولي الحديث، حيث أولت الدراسات التداولية عناية كبيرة بالقصد في عملية الاتصال ، فالمخاطِب يدعو المخاطَب لمعرفة غرضه من الاتصال فعندما : "أتكلم فأنا أحاول إيصال بعض الأشياء إلى مخاطبي بدعوته إلى التعرف على مقصدي من توصيل تلك الأشياء بالذات ، و أتحصل على الأثر المنتظر عندما ادعوه إلى معرفة غرضي من تقديم هذا الأثر له ، و ما إن يتعرف مخاطبي على ما في غرضي الحصول عليه، حتى تتحقق النتيجة عموما "[5] .و بهذا فالقصد هو محور العملية التواصلية و هو ما يقود المتلقي إلى تأسيس الدلالة اللغوية على قصد المتكلم .

---

(2)–ينظر: طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء /المغرب ، ط2/ 2000 ، ص 130

(3)–ينظر: عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، شر : محمد الإسكندراني ، دار الكتاب العربي ، بيروت / لبنان ، دط/ 2004 ، ص 501

(4)– أبو الفتح عثمان بن جني ،الخصائص ، ج 1 ، تح : محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت / لبنان ، ط 2 / د ت ، ص 33

(5)– ينظر:جمال الدين بن هشام ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تح : مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت / لبنان ، ط 1 /2005 ، ص 357

(1)– فيليب بلانشيه ، التداولية من أوستن إلى غوفلمان ، ص 139

وقد أشار عبد القادر الجرجاني في دراسته للقصد إلى زاوية تداولية تطابق الدراسة الحديثة ،حيث انطلق من فكرة جوهرية مفادها وجود علاقة متينة بين المتكلم و الكلام نفسه و المخاطب و هذه العلاقة هي علاقة تفاعلية . كما أن عنايته بهذا العنصر جعلته لا يكتفي بظاهر المعنى بل يجعله سلما يصل به إلى المعنى غير الظاهر ، فهو " لا يريد المعنى الذي يحدده الوضع اللغوي ، بل المعنى الذي قصده المتكلم و الذي يكشف عن حسن تخيره و صحة تأليفه ، أو عملية التواؤم بين ما وقع قبل المنطوق و ما وقع في المنطوق ."[1] و بهذا فهو يعتبر النص أو الكلام هو السبيل الوحيد لكشف المقصد أو الغرض الصحيح الذي يطابق مراد المتكلم.

و ستشمل دراستنا للوظيفة المقصدية جانبان أساسيان هما: الإشاريات و الافتراض المسبق ثم نختم هذا المبحث بإبراز دور المجاز في تحريك مقاصد الكلام .

أولا الإشاريات :

تطلق تسمية الإشاريات على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة ، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب .فشرط وجودها هو النص .[2]

و كما نعلم فإن عملية التخاطب تبتدئ بالمتكلم ، فبقدر ما يكون ناجحا في إرسال الخطاب و مبينا في مقاصده يتم فهم معاني خطابه و الوصول إلى تلك المقاصد . ثم إن عملية التخاطب أو الرسالة النصية بأي لغة كانت لا تخلو من العناصر الإشارية ،و هي ألفاظ تحمل معنى للإشارة دون أن تدل على معنى بذاتها ، و لهذا سميت بالإشاريات و أهم هذه العناصر هي الضمائر بأنواعها المختلفة .

---

(2)– عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير ، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، دط / 2006 ، ص 54.

(3)– ينظر: الأزهر الزناد ، نسيج النص ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء / المغرب ، ط1 /1993 ، ص 118

الضمائر :

1 – **لغة** : جاء في القاموس المحيط للفيروز أبادي : الضمير بمعنى السر و الإخفاء ، أضمره بمعنى أخفاه .[1] و هو نفس المعنى الذي أشار إليه اللسان.

2 – **اصطلاحا** : الضمير و المضمر و الكناية و المكنى ، مصطلحات للدلالة على أسماء مبنية دالة على المتكلم نحو : أنا ، أو المخاطب،نحو :أنت ، أو الغائب نحو: هو ....[2]

والغرض من استعمالها هو الإيجاز و الاختصار، و لتجنب التكرار . و كما نعلم فالدرس اللغوي النحوي يقسم الضمائر إلى نوعين أساسيين :

– ضمير مستتر وهو ما قدر في المعنى من غير أن يظهر في اللفظ ، و يختلف تقديره حسب الفعل . نحو : كتب (هو).....

– – ضمير بارز أو ظاهر : و هو ماله صورة ظاهرة يتلفظ بها ، و هو نوعان : منفصل و متصل [3].

ثم إن دور الضمائر ليس مقتصرا على الإيجاز و الاختصار ، بل هي عناصر إشارية تعمل على لحمة النص فهي أساس رئيسي في التماسك النصي عن طريق عملها المتمثل في الإحالة.

(1)– ينظر: الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، ج :2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب / مصر ، ط 3 / 1978 ،مادة ضمر

(2)– ينظر : هادي نهر ، النحو التطبيقي ، ج 1 ، عالم الكتب الحديث / الأردن ، ط 1 / 2008 ، ص 40

(3)– ينظر: علي الجارم ومصطفي أمين ، النحو الوظيفي لمدارس المرحلة الأولى ، ج 1 ، دار المعرفة ، مكتبة الشركة الجزائرية ، د ط / د ت ، ص 127 .

الإحالة :

الإحالة هي العمل الذي تنجزه الإشاريات التي تحملها النصوص وهي من أهم أدوات الاتساق النصي ، و يعرفها جون لوينز بقوله: " أنها العلاقة القائمة بين الأسماء و مسمياتها".[1] إذ أن كل اسم لابد أن يحيل على مسمى معين يسمى" المرجع " فالإحالة هي علاقة العبارات بالأحداث و المواقف في العالم الذي يدل عليه بالعبارات ذات الطابع البدائلي في نص ما([2]).

ومنه فلا يمكننا تفسير العنصر المشير إلا بالعودة إلى العنصر الذي يحيل عليه . و أول سؤال يتبادر إلى أذهاننا هنا هو : هل العنصر المحال عليه هو المرجع ؟ و هل هما متطابقان أم لا ؟ و الإجابة هي : لا ، فكل منهما عنصر مستقل ؛ فالمرجع هو مجموعة ألفاظ محددة تعود على عناصر لفظية في الدراسة اللغوية و هو بهذا المنحى لا يحيا إلا داخل النص أو الخطاب و شرط وجوده هو النص. و تعد الضمائر العناصر الإشارية التي لا تعرف إلا عن طريق علاقتها بمراجعها .[3]

وباختصار يمكن القول بأن الإحالة هي العلاقة القائمة بين عنصرين أحدهما مشير و الآخر مرجع ، و يكون متقدما له أو متأخرا عنه ، و على أساسه يحدد نوع الإحالة . وهذه العلاقة هي التي تجعل العناصر الإشارية غير قابلة للتأويل بمفردها بل لابد من العودة إلى ما تشير إليه من مراجع.

و كما هو معروف في علم النص تنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسيين : إحالة مقامية و إحالة نصية ، و هذه الأخيرة تنقسم بدورها إلى إحالة قبلية و إحالة بعدية كما يلي :

---

(1)- ايجليون براون وجورج ويول ، تحليل الخطاب ، تر : محمد لطفي الزلطي ، منير تركي ، جامعة الملك سعود / المملكة العربية السعودية ، د ط / 1997 ، 36.

(2)- ينظر ، روبيرت دي بوجراند ، النص والخطاب والاجراء ، تر : تمام حسان عالم الكتب ، القاهرة / مصر ، ط 1 / 1998 ، ص 320.

(3)- ينظر : عبد المهدي الجراح ، إبراهيم الكوفجي ومحمد القضاة ، العناصر المرجعية الضميرية في سورة الكهف ، مجلة دراسات للعلوم الانسانية والاجتماعية ، مج : 35 / ع : 3 / 2008 ، ص 538 - 539 .

أ – **الإحالة المقامية :** و تسمى أيضا إحالة خارج النص ، أو الإحالة إلى غير مذكور ،كما يسميها الدكتور "تمام حسن"، "و ترجع إلى أمور تستنبط من الموقف لا من عبارات تشترك معها في نفس النص أو الخطاب ".(1)

وبهذا فإن هذا النوع من الإحالة لا يتم إلا بمعرفة الأحداث و سياق الحال الذي نشأ فيه الخطاب أو النص . و التي ترتبط في عملنا بأسباب التنزيل .

ب– **الإحالة النصية :** و هي الإحالة التي تحقق فعليا اتساق النص و ترابطه . و هذا النوع من الإحالة لابد للملتقي من أن يعود في دراسته / فهمه إلى العناصر المحال عليها فالإحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ ، سابقة كانت أو لاحقة ،هي إحالة نصية.(2)و تنقسم بدورها إلى قسمين :

ب–1. إحالة نصية قبلية : و هي إحالة على سابق أو إحالة بالعودة ، و هي استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سابقة في النص أو المحادثة . و فيها يجري تعويض لفظ المفسر الذي كان من المفروض أن يظهر حيث يَرِدُ الضمير(3) .

ب – 2 .إحالة بعدية : أو الإحالة على لاحق ، و هو استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سوف تستعمل لاحقا في النص أو المحادثة .(4)

و بما أن الضمائر هي أبرز العناصر الإشارية ، فستكون ميدان الدراسة التطبيقية على مجازات سورة الكهف . و لتكون هذه الدراسة منطقية ينبغي علينا تقسيم السورة إلى أجزاء حسب مواضيعها كما يلي :

---

(1)–روبيرت دي بوجراند ، النص والخطاب والاجراء ، ص 332

(2)– ينظر: الأزهر الزناد ، نسيج النص ، ص 118 .

(3)– ينظر: صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، ج 1 ، دار قباء ، القاهرة / مصر ، ط 1 / 2000 ، 38

(4)– ينظر : صبحي إبراهيم الفقي ، المرجع نفسه ، ص 40 .

1 – مقدمة السورة :

تبتدئ السورة بمقدمة من ثمان آيات احتوت على أربعة مواضع للمجاز –سبق أن بيناها في الفصل الأول – و قد احتوت هذه المقدمة على المراجع الأساسية التي أحالت عليها أهم العناصر الإشارية من بداية السورة إلى نهايتها . أما بقية المراجع تعد ثانوية نظرا لاقتصارها على جزء معين محدود من السورة. و المراجع الأساسية هي :

***اللّـه جل جلاله :**

ذكر هذا المرجع صراحة في بداية السورة في قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ (1/الكهف) مما يجعل جل الإحالات التي تشير عليه داخلية على سابق . و بما أن دراستنا مقتصرة على عنصر المجاز ، فقد أحصينا العناصر الإشارية المتضمنة داخل الآيات المجازية من السورة فقط . و نوردها في الجدول التالي :

المرجع	العنصر الإشاري	نوع الإشاريات	نوع الإحالة	الآية
الله جل جلاله (الحمد لله)	ولم يجعل له عوجا	هو: ضمير مستتر	إحالة داخلية على سابق	01
	من آياتنا عجبا	نا: ضمير متصل	إحالة داخلية على سابق	09
	فضربنا على آذانهم	نا: ضمير متصل	إحالة داخلية على سابق	11
	فربطنا على قلوبهم	نا: ضمير متصل	إحالة داخلية على سابق	14
	إنا اعتدنا	نا: ضمير متصل	إحالة داخلية على سابق	29
	إنا لا نضيع	نا: ضمير متصل نحن: ضمير مستتر	إحالة داخلية على سابق	30
	أن لن نجعل	نحن: ضمير مستتر	إحالة داخلية على سابق	48
	من دوني	ي: ضمير متصل	إحالة داخلية على سابق	50
	وما نرسل	نحن: ضمير مستتر	إحالة داخلية على سابق	56
	إنا جعلنا	نا– نحن: ضمير	إحالة داخلية على سابق	57

		متصل		
	أهلكناهم	نا: ضمير متصل	إحالة داخلية على سابق	59
	وجعلنا	نا: ضمير متصل	إحالة نصية على سابق	59
	وتركنا بعضهم	نا: ضمير متصل	إحالة نصية على سابق	99
	وعرضنا جهنم	نا: ضمير متصل	إحالة نصية على سابق	100
	إنا اعتدنا	نا: ضمير متصل	إحالة نصية على سابق	102
	عبادي من دوني	ي: ضمير متصل	إحالة نصية على سابق	101

و قد كانت العناصر الإشارية الدالة على هذا المرجع هي الأكثر تواجدا قي نص السورة و لهذا عُدَّ المحور الرئيسي لها.

*** الرسول عليه الصلاة و السلام :**

و الذي يعد ثاني مرجع رئيسي في هذه السورة ، كيف لا و قد أنزلت السورة لنصرته على من جاء يحاججه من اليهود. و لقد ورد ذكره في أول السورة بعبارة **<<عبده>>** في قوله تعالى ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ {1/الكهف} و بهذا فالإشاريات الدالة عليه خلال كل أجزاء السورة تعمل إحالة داخلية على عنصر سابق الذكر . و الجدول التالي يورد لنا العناصر الإشارية التي أحالت إلى هذا المرجع في الآيات المجازية من السورة:

المرجع	العناصر الإشارية	نوع الإشاريات	نوع الإحالة	الآية
	فلعـــــلك	ك: ضمير .متصل	إحالة داخلية على سابق	06
	باخــــع	أنت: ضمير .مستتر	إحالة داخلية على سابق	06
	نفســـــك	ك: ضمير متصل	إحالة داخلية على سابق	06
	أم حسبـــت	أنت: ضمير مستتر	إحالة داخلية على سابق	09
	و ترى الشمس	أنت: ضمير مستتر	إحالة داخلية على سابق	17
	و لملئت منهم رعبا	أنت: ضمير مستتر	إحالة داخلية على سابق	18
	و لا تـــعـــد	أنت: ضمير مستتر	إحالة داخلية على سابق	28
	عينـــاك	ك: ضمير .متصل	إحالة داخلية على سابق	28
	و اضرب لهم مثل	أنت: ضمير متصل	إحالة داخلية على سابق	45/32
	و يسألونك عن ذي القرنين	ك: ضمير متصل	إحالة داخلية على سابق	83
	فإذا جاء وعد ربي	ي: ضمير متصل	إحالة داخلية على سابق	98

ويعد هذا المرجع ثاني أهم مرجع في السورة من حيث عدد الإشاريات التي تحيل عليه ، مكونة بذلك نصا مترابطا محكم الاتساق.

* **أما المرجع الثالث** في هذه المقدمة فيتمثل في (الكتاب) و الذي نجد له عناصر إشارية مختلفة الأنواع منها ما هو ضمير و منها ما جاء بمسميات مرادفة له و هي تختلف عن موضوع دراستنا . أما بالنسبة للعناصر الضميرية فعلى الرغم من وجودها بعدد معتبر إلا أننا لا نعثر منها إلا على عنصر واحد متضمن في مجازات السورة و الذي جاء في قوله تعالى : ﴿ **وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا** ﴾{1/الكهف}،(الهاء في "له")و هو ضمير متصل أشار إلى لفظ الكتاب في إحالة داخلية قريبة المدى على عنصر سابق.

كما تضمنت المقدمة مراجع أخرى لكنها كانت بدرجة ثانوية وقد كانت واضحة لقرب المدى بينها و بين الإشاريات التي تحيل عليها . ثم إن اشتمال المقدمة على أهم المراجع في السورة دال على أن هذه المقدمة قد أدت مهمة التقديم باحتوائها على عنصر المناسبة ، فالسورة بهذا مترابطة و متماسكة مقدمة مع المحتوى و الخاتمة .

2 – قصة أصحاب الكهف :

بعد المقدمة تورد لنا السورة قصة أصحاب الكهف في ستة عشرة آية احتوت على بعض الصور المجازية – والتي سبق أن أشرنا إليها في دراستنا لأفعال الكلام – وقد كان لفظ (أصحاب الكهف) هو المرجع الأساسي الذي تشير إليه كل العناصر الإشارية التي جاءت في هذا الجزء من السورة . وقد وجدنا في هذه الآيات العناصر الإشارية التالية :

المرجع	العناصر الإشارية	نوع الإشاريات	نوع الإحالة	الآية
أصحاب الكهف	كانوا من آياتنا	هم : ض مستتر	داخلية على سابق	9
	فضربنا على آذانهم	هم : هم متصل	داخلية على سابق	11
	وربطنا على قلوبهم	هم : هم متصل	داخلية على سابق	14
	لولا يأتون عليهم	هم : هم متصل	داخلية على سابق	15
	ولملئت منهم	هم : هم متصل	داخلية على سابق	18
	رابعهم – خامسهم – سادسهم – ثامنهم – كلبهم	هم : هم متصل	داخلية على سابق	23/22

إن هذا العدد من العناصر الإشارية التي تشير لأصحاب الكهف ، يؤكد على أساسية هذا المرجع في هذا الجزء من السورة . ولقد جاء لفظ هذا المرجع في بداية القصة في قوله تعالى ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ [9/الكهف] وبهذا فكل

الإحالات عليه كانت داخلية على عنصر سابق الذكر وهذا ما ساهم في ربط وحدات القصة مما جعلها متسقة اتساقا محكما بأنواع مختلفة من الضمائر .

3 – تعقيب على القصة :

بعد قصة أهل الكهف تورد السورة تعقيبا لها وذلك من الآية 27 إلى غاية الآية 31 ،وفي هذا الجزء من السورة نلمح عنصرين هامين يمثلان المراجع الأساسية فيه إضافة إلى الإحالات التي أحصيناها حول المراجع الأساسية في المقدمة سابقا .

* وقد عبرت السورة عن المرجع الأول بقوله تعالى﴿ **وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا** ﴾[28/الكهف] ، وهم أصحاب الجنة ، وله العديد من العناصر الإشارية التي تحيل عليه ، لكننا لا نجد منها سوى عنصر واحد في الآيات ذات الأسلوب المجازي ، وهو الضمير المتصل في لفظة (عنهم) في قوله تعالى ﴿ **وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ** ﴾ [28/الكهف] ، وهذا العنصر يمثل إحالة داخلية على سابق .

* أما المرجع الأساسي الثاني في هذا الجزء فقد عبرت عنه السورة بقوله تعالى : ﴿ **مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عن ذِكْرِنَا** ﴾ [28/الكهف] ، في إشارة إلى أصحاب النار ، وقد وجدنا لهذا العنصر أيضا العديد من الإشارات التي تحيل عليه ، لكن واحد منها فقط جاء في الآيات التي تحمل مجازا ،وهو الضمير المستتر (هم) في قوله تعالى ﴿ **وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا** ﴾ [29/الكهف] .

وقد لاحظنا أن هذا الجزء من السورة جاء متماسكا متسقا بالعناصر الإشارية التي كانت تعمل على المدى القريب والبعيد في إحالتها إلى المراجع .

4 – قصة صاحب الجنتين :

وتبدأ أحداث القصة من الآية (32) إلى غاية الآية (44) ، وفي هذه القصة نلاحظ وجود ثلاث عناصر تمثل المراجع الأساسية فيها ، وهي الرجل المؤمن ، والرجل الكافر ، والجنتين . ولقد كان لكل منهم دور أساسي في القصة ويظهر ذلك من خلال العدد الكبير للعناصر الإشارية التي تحيل على هذه المراجع :

* المرجع الأول : وهو الرجل المؤمن ، والذي عبرت عنه الآية بقوله تعالى ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ [34/الكهف] ، لكن الآيات المجازية لم تحمل لنا أي عنصر إشاري عائدا على هذا المرجع .

* المرجع الثاني : وقد دل عليه قوله تعالى ﴿ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [32/الكهف]

وبهذا فالعناصر الإشارية التي سنحصيها تعود على لفظة (أحدهما) والتي نبينها في الجدول التالي:

المرجع	العنصر الإشاري	نوعه	نوع الحالة	الآية
الرجل الكافر (أحدهما)	وهو ظالم	ضمير منفصل	إحالة داخلية على سابق	35
	لنفسه	ه: ضمير متصل		35
	ما أظن	أنا : ضمير مستتر		36
	رددت	أنا : ضمير مستتر		36
	ربي	ي: ضمير متصل		36
	لأجدن	أنا : ضمير مستتر		36
	بثمره	ه: ضمير متصل		42

	أصبح	هو : ضمير مستتر		42
	يقلب	هو : ضمير مستتر		42
	كفيه	ـه: ضمير متصل		42
	ما أنفق	هو : ضمير مستتر		42

وبالمقارنة مع العناصر العائدة على المرجع السابق (الرجل المؤمن) نلاحظ أن القصة قد ركزت على الرجل الجاحد أكثر ، لأنها جاءت لتضرب مثلا للناس ليتفكروا في عاقبة الكفر والجحود بنعم الله سبحانه وتعالى .

* أما المرجع الثالث في هذه القصة فهو الجنتين والتي جاء ذكرها في بداية هذا الجزء في قوله تعالى ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾ [32/الكهف] ، فنجد له العناصر الإشارية التالية :

المرجع	الإشارة	نوعه	نوع الإحالة	الآية
الجنتين	آتت	هي : ض مستتر	نصية على سابق	33
	أكلها	ها : ض متصل		33
	خيرا منها	ها : ض متصل		42
	ماؤها	ها : ض متصل		42
	فيها	ها : ض متصل		42

5 – الجزء الخاص بمشاهد يوم القيامة :

ففي هذا الجزء يضرب الله للناس مثلا الحياة الدنيا وزينتها ، وموقف الناس فيها وانشغالهم عن العبادة ، ثم يعرض لهم مشاهد يوم القيامة وذلك كتعقيب على ما حملته قصة صاحب الجنتين من معان ، كما نجد في هذا الجزء حديث عن قصة آدم مع الملائكة وإبليس (قصة السجود) ، كما اشتملت حديثا عن موقف الناس من الذكر الحكيم ، والحكمة من إرسال المرسلين ، وإهلاك القرى الظالمة .

ثم إن هذا الجزء من السورة يحمل لنا (11) موضعا للمجاز – سبق أن بيناها في حديثنا عن أفعال الكلام – أما عن الإشاريات التي احتوت عليها فقد وجدنا أنها تعود على في أغلبها على المراجع المركزية في السورة ، والتي سبق ذكرها في المقدمة ، أما عن المراجع الأساسية في هذا الجزء فهي ثلاثة :

*** المرجع الأول : الناس عامة :**

وهو مرجع خارجي ؛حيث يضرب الرسول صلى الله عليه وسلم مثلا عن الحياة الدنيا لليهود الذين جاءوا يحاجونه في مسائل غيبية ،لكن المعنى يتجاوز هؤلاء القوم إلى الناس عامة . ولقد ذكر لفظ الناس صراحة في الآيات الخاصة بهذا الجزء مما يجعل الإحالة داخلية لكنها كانت على مرجع لاحق لأن ذكره جاء في الآية (54)في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾.

ولقد أحصينا عددا من العناصر الإشارية لهذا المرجع في الجدول التالي :

المرجع	العناصر الإشارية	نوع الإشاريات	نوع الإحالة	الآية
الناس عامة	واضرب لهم	هم : ض متصل	إحالة داخلية على لاحق	45
	بل زعمتم	أنتم : ض مستتر		48
	أن لن نجعل لكم موعدا	كم: ضمير متصل		48
	أفتتخذونه وذريته	أنتم : ض مستتر		50

*** المرجع 2 : المجرمون :**

وهم الذين عبرت عنهم السورة بعدة صفات ، وقد جاء ذكرهم في هذا الجزء بصفة المجرمين في قوله تعالى ﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾ [49/الكهف] ، وما يلفت انتباهنا هنا هو إيراد السورة لهذا المرجع بعدة صفات أخرى في نفس الجزء ، كقوله تعالى ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗا ﴾ [57/الكهف] ، في إشارة إلى المجرمين .وقد أحصينا له الإشاريات التالية :

المرجع	الإشاريات	نوعها	نوع الإحالة	الآية
المجرمون	ووجدوا	الواو: ضمير متصل	إحالة داخلية على سابق	49
	عملوا	الواو: ضمير متصل		49
	فظنوا	الواو: ضمير متصل		53
	أنهم	هم : ضمير متصل		53
	بل لهم موعد	هم : ضمير متصل		57
	لن يجدوا	الواو: ضمير متصل		57
	قلوبهم	هم : ضمير متصل		58

	يفقهوه	الواو : ضمير متصل		58

* **إبليس(لعنه الله)** : وقد جاء ذكره بلفظ صريح في الآية 50 ،و كان لهذا المرجع عدد من العناصر التي أحالت عليه إحالة قريبة المدى ساهمت في التحام الآيات وأضافت عليها رونق خاصا بعيدا عن التكرار وهذه الإشاريات هي :

المرجع	الإشاريات	نوعها	نوع الإحالة	الآية
إبليس	ففسق	هو : ضمير مستتر	إحالة داخلية على سابق	50
	ربه	هـ : ضمير متصل		50
	أفتتخذونه	هـ : ضمير متصل		50
	ذريته	هـ : ضمير متصل		50

وقد مثلت هذه المراجع الثلاث العناصر الأساسية التي أحالت عليها إشاريات هذا الجزء ، لكنها لم تكن مقصورة عليها بل وجدنا أن بعض الإشاريات يعود على مراجع أخرى بدرجة ثانوية ، وكانت كلها إحالات قريبة المدى قليلة العدد لكن دورها كان فاعلا جدا في اتساق الآيات وإعطاء لحمة واضحة عليها تجعلها متميزة عن باقي الأجزاء ومترابطة معها بالمراجع الأساسية في السورة السابقة الذكر ، خاصة منها المرجع الأول (الله سبحانه وتعالى).

6 – قصة سيدنا موسى مع الرجل الصالح :

وتبدأ القصة من الآية 60 إلى غاية الآية 82 ، في سرد متميز متفرد في أسلوبه عن كل الأساليب الأدبية ، ومن موضوع القصة يتضح أنها ستتناول مرجعين أساسيين وهما : موسى عليه السلام والرجل الصالح ؛ منفردين أحيانا ومجتمعين أحيانا أخرى :

***سيدنا موسى عليه السلام** : وقد أحصينا لهذا المرجع في الآيات التي تحمل صورا مجازيا في هذا الجزء من السورة العناصر الإشارية التالية :

المرجع	الإشاريات	نوعها	نوع الإحالة	الآية
موسى عليه السلام	كنا	نا : ضمير متصل	إحالة داخلية على سابق	64
	نبغي	نحن : ضمير مستتر		64
	وكيف تصبر	أنت : ضمير مستتر		68
	تحط	أنت : ضمير مستتر		68
	قال	هو : ضمير مستتر		77

وقد كانت كل الإحالات على هذا المرجع إحالات داخلية على سابق جاء ذكره في أول القصة في قوله تعالى « وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا » [60/الكهف] .

أما بالنسبة إلى الإشاريات الأولى والثانية في الجدول (نا ، نحن) فهي تحتمل إحالتها على سيدنا موسى لوحده كونه يتحدث بضمير الجماعة ، كما أنها قد تحتمل إحالتها على سيدنا موسى مع فتاه ، وفي كلا الحالتين هي عنصر يعود عليه بشكل أساسي ، ولهذا أحصيناها ضمن الإشاريات التي أحالت على هذا المرجع .

*** الرجل الصالح :**

وقد أوردت السورة هذا المرجع بلفظ (عبدا) وجاءت في قوله تعالى ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [65/الكهف] ،وقد أوردت العديد من التفاسير عن كونه رجلا صالحا أوتي الحكمة والعلم بالغيب ، أما بالنسبة للعناصر الإشارية التي تحيل إلى هذا المرجع فهي كثيرة في هذا الجزء ، ونورد منها هنا ما جاء في الآيات المجازية :

المرجع	الإشاريات	نوعها	نوع الإحالة	الآية
الرجل	أقتلت	أنت : ضمير مستتر	إحالة على سابق	74
	شئت	أنت : ضمير مستتر		77

الصالح	لاتخذت	أنت : ضمير مستتر		77

ثم إن هذين المرجعين على أهميتهما في هذا الجزء من السورة لم يكونا الوحيدين فيها ،بل إن عددا من المراجع الثانوية تضافرت في بناء اتساق النص ولحمته مما أكسبه متانة واضحة كسته حلة أسلوبية متفردة النظير، وهذا ما يجعل الأسلوب القرآني متميزا في قصصه عن غيره من الأساليب .

7 – خاتمة السورة :

أوردت لنا سورة الكهف قصة ذي القرنين ورحلاته الثلاث قبل خاتمتها لنستخلص منها العبر كباقي القصص ، ولكن هذا الجزء لم يحمل لنا في آياته المجازية القليلة التي أشرنا إليها سابقا ، أي إشاريات ، ومع ذلك فقد كان هذا الجزء متلاحما ومتسقا بعدد كبير منها في باقي الآيات .

ونلاحظ ترابط خاتمة السورة مع المقدمة وكذا مع القصص التي حملتها ، وهذا الترابط تؤكده لنا الإحالات التي أشرنا إليها سابقا على المراجع الأساسية في السورة خاصة منها ما يتعلق بالله جل جلاله و الرسول (ص) و كتاب الله الكريم . كما نجد في الخاتمة بعض الإشاريات التي تعود على مرجعين أساسيين سبق ذكرهما وهما :

* **أصحاب النار:** وقد أحال على هذا المرجع العناصر الإشاريات في قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴾(الكهف 104)، وهي : الذين ، هم (سعيهم)

* **أصحاب الجنة** : وقد أحال عليه الضمير المتصل(هم) في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴾(107 /الكهف)

إضافة إلى هذه الإشاريات احتوت الخاتمة على عدد من المراجع الثانوية التي كانت ذات إحالات قريبة المدى ساهمت بدورها في اتساق الخاتمة و السورة ككل.

وبعد هذه الدراسة النصية التحليلية للإشاريات التي حملتها الآيات المجازية في سورة الكهف اتضح لنا أن " هذه العناصر تؤدي مجموعة محددة من الوظائف النصية والتي تسهم في عملية التواصل و التأثير المكثفين ، وهذا من شأنه أن يعزز الأبعاد التواصلية التأثيرية للنص القرآني على القارئ (المستقبل) ، فتزيد من عمق اللُحمة النصية للتراكيب عبر السياقات المتعددة"[1] ، أي أن هذه الإشاريات قد أدت وظيفة الاتساق النصي بشكل عمّق من ترابط الآيات مما جعل تأثيرها إيجابيا على الملتقي وساعد على فهمه للرسالة اللغوية وما ترمي إليه من معان قريبة وبعيدة ، وبهذا فقد أدت هذه العناصر إلى إنجاح العملية التواصلية .

وفي ما يلي نحدد الوظائف النصية للعناصر الإشارية الضميرية التي أحصيناها في مجازات سورة الكهف وهي :

1 – ربط المحدد بالمقصدية السياقية : فهذه الإشاريات قامت باختزال ما قد يحمله فكر المتلقي من مقاصد .

2 – تعزيز بنية التعدد المرجعي : حيث إن تنوع المراجع وتعددها من شأنه تعزيز إدراك المتلقي للرسالة اللغوية .

3 – توجيه الخطاب نحو النص نفسه (اتساق داخلي).

4 – توجيه الخطاب نحو المقام (سياق الحال) : اتساق خارجي .

---

(1) –عبد المهدي الجراح ، إبراهيم الكوفجي ومحمد القضاة ، العناصر المرجعية الضميرية في سورة الكهف ، ص 541.

ثانيا : الافتراض المسبق :

إن عنوان هذا العنصر من البحث يحمل لنا مصطلحا بحاجة إلى توضيح وتحديد ، وهو الافتراض.

في اللغة : الافتراض من الجذر فرض ، فريضة ، افترضته إذا أعطيته .[1] وهو أن يعطي الباحث فرضا ليصل به إلى حل مسألة معينة ، وهي مقولة تقبل على علتها (صحيحة كانت أو خاطئة) دون إثبات .فالافتراض المسبق هو معطيات موجودة قبل الكلام وهي تشترك في إنتاجه

وقد جاء في تعريف الافتراض المسبق : « نعتبر ما هو من قبيل الافتراضات ، كل المعلومات التي لا تكون مطروحة بانفتاح ، مع ذلك فهي واردة بصورة آلية في صياغة الملفوظ / القول الذي تتواجد فيه مهما كانت خصوصية الإطار الملفوظي . »[2]

ولقد كان لدى العلماء اللغويين العرب اهتمام بهذا العنصر التداولي ، إذ نجد الرّماني يشير إليه بقوله : "هو تضمين توجبه البنية"[3] ؛ أي أنه يستنبط من خلال الإلمام بالسياق اللغوي العام للقول أو الخطاب فهو بذلك يكوّن المعنى المفترض موضوعيا لأنه يحيل إلى الخلفية المشتركة بين أطراف العملية التواصلية .

إن أيسر السبل لشرح مفهوم الافتراض المسبق هي عن طريق مثال تواصلي ، ولذلك نورد المثال التالي :

– يطلب أحد أفراد الأسرة منك إغلاق النافذة ، فالافتراض المسبق هنا هو :« أن النافذة مفتوحة.»

---

(1)– ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة فرض

(2)– نور الدير الخيار ، الخطاب القصصي القرآني ، ص 264

(3)– علي بن عيسى الرماني ، النكت في إعجاز القرآن ، تح : محمد سلام ، دار المعارف ، مصر ، ط 2 / 1968 ، ص 273.

إذن فعند أي عملية تواصلية ، ينطلق الأطراف (المتخاطبون) من معطيات أساسية معترف بها ومعروفة ، وهذه المعطيات تمثل الافتراضات المسبقة ، وهي افتراضات لا يصرح بها المتكلمون ، بل هي تشكل خلفية التبليغ الضرورية لنجاح الرسالة ، وهي دائما محتواة في القول سواء تلفظ بهذا القول إثباتا أو نفيا [1].

ويعرف أوزوالد ديكو الافتراض المسبق بأنه إحدى الوسائل التي تقدمها اللغة من أجل الاستجابة للحاجة المستترة التي يشعر بها المتحدثون في عدد كبير من المواقف وهو وسيلة للقول وعدم القول [2]، أي أن وجود الافتراضات المسبقة بين المتخاطبين يكون داعما للحوار ومسيرا لأوجهه حتى تنجح العملية التواصلية ، فوجوده يرسم إطارا صحيحا لاستمرار الحوار .

ومن خلال مفهوم الافتراض المسبق نستنتج أن هذا العنصر شرط أساسي في عملية التفاعل الحواري ، وله أهمية بالغة في التبليغ و إنجازية أفعال الكلام ، ذلك أن التفاعل الخطابي يجري – عادة– في إطار اجتماعي تنظمه قواعد سعى بعض الباحثين إلى تحديدها واستنباط الشروط الواجب توفرها في النص كي نضمن للرسالة اللغوية النجاح المأمول .

- فالسؤال المطروح هنا هو : ما هي شروط نجاح التواصل ؟

***شروط النجاح التواصل** :

إن إتمام العملية التواصلية أو التبليغية لا يتوقف على القول في حد ذاته ، بل يفرض بعض الشروط ، فإذا لم تتوفر تلك الشروط، فإن الفعل الإنجازي لا يتم ، ومع ذلك لا يعتبر القول خاطئا لأن المشكل لا يتمثل في حقيقة القول بل في إتمام العمل أو إنجازية الفعل ، وبهذا يسمى فعلا غير منجز .

(1)– ينظر : الجيلالي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ص 32 .

(2)– نور الدين الخيار ، الخطاب القصصي القرآني ، ص 264 .

ثم إن الشركاء في التفاعل اللغوي يتقاسمون في العادة هدفا مشتركا ، إذا انعدم لن يكون ثمة سبب للتواصل ، وقد لا يتم التواصل على الأرجح ، وقد جمع لنا الباحث اللساني **غرايس*** مبادئ فلسفية جعلها شرطا أساسيا في نجاح العملية التواصلية وهذه المبادئ هي :

(1 – الكم : نقول ما هو ضروري بالضبط ولا نزيد أكثر من الضروري .

2 – الكيف : نقول ما ينبغي على أحسن وجه ، نتوخى أساسا النزاهة وعلى أساس المعلومات الكافية .

3 – العلاقة أو الإفادة : نقول أشياء مفيدة للتفاعل ، أشياء لها علاقة بالمحادثة .

4 – الجهة : نتكلم بوضوح ،بالنبرة الملائمة ....إلخ .)[1]

إن هذه الشروط التي ضبطها غرايس تتعلق بالقول في حد ذاته وهي تتفاعل مع الشروط الخارجية (المقام والافتراض المسبق) لتشكل لنا الخلفية التواصلية لنجاح الرسالة لغويا و إنجازيا . ومنه نميز بين نوعين من الافتراضات المسبقة :

- افتراضات تتعلق بالجانب اللغوي : فالقواعد اللغوية تفرض على المتكلم باللغة إنتاج كلامه على هذه القواعد ، وهذا النوع يسمى الافتراضات المسبقة الدلالية .
- افتراضات تتعلق بالجانب التداولي : وهي ما يتعلق بالخلفية الاجتماعية المشتركة بين الطرفين .[2]

---

* غرايس : فيلسوف انجليزي كان يلقي محاضراته بجامعة هارفورد سنة 1967

(1)– فيليب بلانشيه ، التداولية من أوستن إلى غوفلمان ، ص 84 – 85

(2)– ينظر : فيليب بلانشيه ، المرجع نفسه ، ص 86 .

***-<u>الافتراض المسبق في مجازات سورة الكهف :</u>**

إن الدراسة التطبيقية للافتراضات المسبقة في مجازات سورة الكهف لا يمكن أن تشمل الافتراضات الخاصة بالجانب اللغوي وذلك لقدسية النص القرآني. فمن المسلم به أن النص القرآني نص معجز لغويا خال من أي أخطاء ، كيف لا وهو المصدر الأول لاستشهاد النحويين في إرساءهم لقواعد اللغة .

أما بالنسبة للافتراضات المسبقة الخاصة بالجانب التداولي في هذه السورة فيمكن أن نتوصل إليها من خلال أسباب التنزيل ، فقد نزلت سورة الكهف لنصرة الرسول صلى الله عليه وسلم في موقفه المعروف عند ما جاء اليهود لمحاجته في أمور غيبية ، وقد ثبّت العلماء هذه الحادثة في المصنفات التي تدرس القرآن الكريم ؛ حيث جاء في سبب نزول هذه السورة:" أن قريشا بعثت النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة فقالوا لهم : سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء مخرجا . حتى إذا أتيا المدينة فسألوا أحبار اليهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفوا لهم أمره وبعض قوله ، فقالوا لهم : سلوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإن لم يفعل فالرجل متقول . سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم فإنه كان لهم أمر عجيب ، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه ، وسلوه عن الروح ما هو ؟ فأقبلا حتى قدما على قريش فقالا : قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ، فقال : (أخبركم غدا بما سألتم عنه).ولم يستثن . فانصرفوا ومكث رسول الله (ص) خمس عشرة ليلة لا يحدث الله في ذلك إليه وحيا ، ولا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة ، وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكْث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ،ثم جاءه جبريل من الله بسورة أصحاب الكهف و فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم

وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف وقول الله « وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ » (الإسراء 85)[1]".

ومن خلال نص أسباب التنزيل يتضح لنا أن أهل قريش (المتلقين) آنذاك ، كان لهم خلفية سابقة حول موضوع السورة وما ستحمله من أخبار .

أما بالنسبة للمنشئ الخطاب (الله سبحانه وتعالى) فقد أورد نصه بما يجب أن يحمله من جواب حول أسئلة المحاججين لنصرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبهذا فالسورة نزلت وفق افتراض مسبق ، وهو المسائل التي طلب أهل قريش محمدا صلى الله عليه وسلم إخبارهم عنها .

كما أن إيراد بعض آيات السورة على وجه مجازي كان مقصودا نظرا لأن قريش أهل لغة وفصاحة ، وذلك أن للمجاز قوة على إثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخيل والتصوير حتى ليكاد ينظر إليه عيانا .... كما أن العبارة المجازية تنقل السامع من حلقه الطبيعي في بعض الأحوال حتى أنها ليوسع بها البخيل ويُشجع بها الجبان ،ويحكم بها الطائش المتسرع ... ويجد المخاطب بها عند سماعها نشوة كنشوة الخمر حتى إذا قطع منه ذلك الكلام أفاق وندم على ما كان منه من بذل مال أو ترك عقوبة أو إقدام على أمر مهول ، وهذا فحوى السحر الحلال المستغنى عن إلقاء العصا والحبال ...[2]

ولهذا نجد أن التصوير المجازي ، قد أدى الغرض المأمول منه وكان مجاوزا لأفق انتظار المتلقين مما جعلهم يقتنعون به ، ومما جعل المؤمنين أكثر قوة ونصرهم على القوم الكافرين ، وقد

---

(1)–جلال الدين السيوطي ، أسباب التنزيل ،مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت / لبنان ، ط 2002/1 ، ص168.

(2)– ينظر : ضياء الدين بن الأثير ، المثل السائر ،ج 2 ، تح : أحمد الحوفي و بدوي طبانة ، مكتبة النهضة ، مصر ، د ط / 1960 ، ص 78 – 80 (بتصرف).

أكد ابن رشيق على هذا الأثر المدهش للمجاز في قوله: « المجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة ، وأحسن موقعا في القلوب والأسماع ، وما عدا الحقائق من جميع الألفاظ .»[1]

ثم إن استعمال المنشئ للخطاب صورة مجازية مبني على افتراض مسبق وعلى علمه العليم بأهمية هذا الأسلوب عند العرب « فالعرب كثيرا ما تستعمل المجاز ، وتعده من مفاخر كلامها ، فهو دليل الفصاحة ، ورأس البلاغة ، و به بانت لغتها عن سائر اللغات »[2].

وبهذا فقد ضبط الافتراض المسبق النص الذي جاءت به السورة كما ضبط أسلوبها ،ويتضح ذلك أكثر من خلال أسباب تنزيل بعض أجزاء السورة التي جاءت منفصلة عن السبب الرئيسي ، والتي أوردها كتاب الإمام السيوطي (أسباب التنزيل) ، وهذا الافتراض جعل العملية التواصلية بين النص والمتلقي تتسم بالنجاح والتوافق ، وكان أثر هذا التوافق واضحا من خلال ما أحدثه نزول هذه السورة من إعلاء لأهل الحق على أهل الباطل .

وفي الأخير نخلص إلى نتيجة مفادها أن الافتراض المسبق كفعل إنجازي يلعب دورا أساسيا في مجال تحديد العلاقات بين المتخاطبين ، وتحديد الإطار العام الذي يجري فيه الخطاب ، كما أنه يتحكم في الفعل التأثيري لدى المتلقي، وفي الأسلوب الذي يستعمله المتكلم .

---

[1]– ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق : العمدة في محاسن الشعر ونقده ،ج 1 ، تح: محمد محيي الدين ، مكتبة السعادة ، مصر ، ط3 / 1963 ، ص 87

[2]–ابن رشيق القيرواني ، المرجع نفسه ، ص 87

ثالثا : دور المجاز في إيصال مقاصد الكلام

إن دراسة مقاصد الكلام في التعبير المجازي تظهر لنا ما يحمله هذا الأسلوب من خلفيات ومضمرات تتعلق بالقول أولا ،ثم بطرفي الخطاب. ثم إن معالجة هذه النقطة ومن خلال دراسة المكونات الإشارية والافتراض المسبق أظهرت لنا كيف ننتزع القيمة القولية الفاعلة من الجمل المجازية وذلك من خلال شموليتها للقول بحد ذاته ، ولإظهارها للخلفية المضمرة التي يستلزمها الكلام بناءا على تركيبه وعلى مقامه .

ثم إن مقاصد الكلام هي الهدف المباشر والأساسي الذي يسعى المتكلم إلى تحقيقه ، وبهذا فعليه أن يعنى بالأسلوب الذي سيحمل هذه المقاصد . ومن أهم المقاصد التي يسعى إليها النص القرآني هي التوجيه ، وذلك عن طريق الوعظ والإرشاد وإيراد قصص السابقين للتذكير ،والمقصود بالتوجيه « هو توجيه سلوك المخاطب ومواقفه إلى أمر من الأمور ، سواء كان هذا التوجيه بغرض الترغيب في ذلك الأمر ، أو بغرض التنفير منه .»[1]

ثم إن منشئ الخطاب إذا أراد تحسين معانيه أو تقبيحها بغرض التوجيه فعليه أن يربط المعاني الأصلية التي يعالجها بمعان أخرى مماثلة لها في الحسن أو أشد منها كذلك بالنسبة للمعاني التي يريد التنفير منها فعليه ربطها بمعان أشد قبحا حتى يتحقق مقصده [2]. وقد انطبق هذا الكلام على مواضيع السورة التي ندرسها .

ولقد اعتمد التصوير المجازي في سورة الكهف على نوعين أساسيين هما : التصوير بالتشبيه أو التمثيل ، والتصوير الاستعاري.

---

(1)- كمال الزماني ، حجاجية الصورة الخطابية السياسية لدى الإمام علي بن أبي طالب ، عالم الكتب الحديث ، أربد / الأردن ، ط 1 /2012 ، ص 83

(2)- ينظر : جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي عند العرب ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء / المغرب ، ط 3 / 1992 ، ص 303 .

* **دور التصوير المجازي المعتمد على التمثيل** : وهو الذي يجعل الذهن يربط بين معنيين أو أكثر بعلاقات متعددة ، والتشبيه من الأساليب البسيطة أو القريبة إلى الإدراك ، وأكثرها مناسبة للعقول خاصة بالنسبة للذين لم يتمكن الإيمان من قلوبهم ومن تعلقوا بالدنيا ، إذن فالتشبيه من الأساليب المجازية وهو أقرب وسيلة للإيضاح والإبانة وأقرب وسيلة لتقريب البعيد من المعاني ،وهو يزيد من جمال الأسلوب ويثير اللذة والتشويق في النفس وله قدرة على جمع الأضداد .(1)

ولقد اعتمدت السورة التنويع في التشبيه والتمثيل لقوله تعالى : « وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ » (54/الكهف)، وهذا يتضح من خلال إيراد عدد من القصص في السورة ولقد جاء لفظ التمثيل صراحة في السورة في موضعين هما :

« وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا » (32/ الكهف) .

« وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا »(45/الكهف).

وكما نعلم فاستعمال المثل هو أفضل وسيلة لتحسين معنى معين أو التنفير منه والتوجيه المباشر كما أنه يُعمل العقل مما يُرسخ المعاني فيه .

– فالمعنى العام الذي توجه إليه قصة أهل الكهف هو الإخبار والتوجيه للاعتبار من هؤلاء الفتية الذين خلدهم التاريخ لقوة إيمانهم وهي نموذج عن إيثار الإيمان على باطل الحياة وزخرفها ، و الالتجاء إلى رحمة الله هربا بالعقيدة من أن تمس .

---

(1)– ينظر : عطية مختار ، علم البيان وبلاغة التشبيه في المعلقات السبع ، دار الوفاء ، الإسكندرية / مصر ، د ط / 2004 ، ص 52 .

– أما قصة ومثل صاحب الجنتين المعتز بماله وعدد أولاده من دون الله أمام فقير مؤمن فتصور لنا اعتزاز القلب المؤمن بالله ، واستصغاره لقيم الأرض .

– أما الشوط الثالث من الصور التمثيلية فيصور لنا مشاهد من يوم القيامة تتوسطها قصة آدم وإبليس ، وتنتهي ببيان سنة الله في إهلاك الظالمين ورحمته وإمهاله للمؤمنين إلى أجل معلوم وبهذا فالمقصد العام يتأرجح بين الترغيب والترهيب .

–أما المثل الذي يرد لنا في قصة سيدنا موسى مع الرجل الصالح فيظهر لنا البون الفارق بين الحكمة الإنسانية العاجلة والحكمة الربانية الغيبية ، وتدعونا للرضاء بقضاء الله وعدم الاستعجال .

وآخر مثل تورده السورة فهو قصة ذي القرنين والتي تهدف إلى توجيه المؤمن إلى الحمد والشكر دائما اقتداءا بهذا الملك العادل الذي حارب الفساد بمنهج الله ، بالقوة التي يسرها الله له ،ثم أرجع كل الخير إلى رحمة الله ، وفضل الله عليه .

أما بالنسبة للمقاصد العامة والتي نجدها في السورة عموما فهي تبشير المؤمنين وإنذار الكافرين وإثبات الوحي ، وتنزيه الله عن التشريك .[1]

<u>* التصوير المجازي المعتمد على الاستعارة:</u>

والمجاز كما ذكره عند الجرجاني :« كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول »[2] ، فهو شكل من أشكال تداعي المعاني على بساط واحد من اللفظ ، فما إن يذكر لفظ إلا و أكثر من معنى يرد إلى الأذهان ، بين معنى يقوم على الحقيقة يباشر

---

(1)– ينظر : سيد قطب ، في ظلال القرآن مج : 4 ، ج : 15 ، ص 1256 – 1260 (بتصرف).

(2)– عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، تح : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة / مصر ، ودار المدني بجدة / المملكة العربية السعودية ، د ط / د ت ، ص 281 .

الذهن ، تتابعه معان ذات علاقات مقصودة ، فتتعدد العلاقات ليظهر لدينا أنواع من المجاز الاستعاري والمجاز مرسل .

و لقد لمسنا التصور القائم على الاستعارة في قوله تعالى « **فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا** »(11 الكهف)؛فما إن يوصل المعنى إلى المتلقي حتى تبدأ معالم الصورة ترتسم في ذهنه ، فالضرب المقصود هنا مرتبط بدلالة ضرب أوتاد الخيمة ونصب بنائها [1] وبهذا فالتصوير المجازي هنا يساعد الذهن على الوصول إلى المعنى المراد وهو الحجب و الحماية .

ومن الصور المجازية في السورة أيضا قوله تعالى« **وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا** » (14/ الكهف) ويتكرر التركيب في هذه الآية ليعيد الفكرة مرة أخرى في عملية ربط وكشف مابين صورتين قائمتين على البناء الاستعاري الذي يمتاز بالعمق ، وهذا ما يحقق المتعة و الدهشة و الراحة النفسية التي يشعر بها الملتقي بعد كشف تجليات الصورة ، وعلاقة البناء قائمة بين الضرب على الآذان و ربط القلوب ، ومما يزيد في حسن الاستعارة ما فيها من المبالغة ،فالاستعارة القرآنية أسلوب من أساليب المبالغة يستخدم للتأكيد في وصف حال أو موقف ما ترغيبا أو تنفيرا[2] .وبهذا فالصورة المجازية مكملة للمقصد الكلامي الذي حملته الآية السابقة الذكر .

كما نجد التصوير الاستعاري في قوله تعالى " ﴿ **فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا** ﴾ (77 / الكهف) .وهنا نذكّر بالاختلاف الفكري القائم بين العلماء حول هذه الآية، مما له أثر في فهم الصورة وطبيعتها ، علما أن الإقامة مجهولة الكيفية وهذا مما تُرك توضيحه لغرض الاهتمام

---

(1)- ينظر ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ضرب) .

(2)- ينظر : جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي ، ص 344.

بالفكرة الرئيسية ، كحال الكثير من القضايا في السورة وفي القرآن الكريم عامة . و المقصد العام الذي حملته هذه الآية هو التبليغ و الإخبار ، ذلك أنها في إطار سرد أحداث القصة

ومن هنا يتضح لنا دور المجاز في تحريك مقاصد الكلام التي تحملها السورة حيث نلمس مدى أهميته في توضيح المعاني و الربط فيما بينها ، و مما يزيد في هذه الأهمية و يؤكدها كون المجاز قد احتل مواضع مختارة بحكمة ربانية بين آيات السورة مما زاد الصورة المجازية حسنا ،وبهذا فقد كان الاستعمال المجازي أفضل أشكال التعبير لإيراد معاني السورة ، ولم تقصر فاعليته على ما انبعث من خلاله من جماليات فنية ، بل كان معينا ميسرا على كشف المعاني العميقة وبذلك أدى مقاصد الكلام من حيث المضمون و المبنى بطريقة إيجابية مختصرة .

وفي الختام نشير إلى أن المعاني المتضمنة في القول هي بمثابة جوانب تداولية من معنى الخطاب و هي تمتلك خاصيات واضحة الملامح . وهي مستقاة جزئيا من المعنى الصريح المباشر للخطاب /القول ، وذلك حسب استعمال المعنى الصريح في سياق محدد ومشترك بين المتكلم و المخاطب .

المبحث الثاني :

الحجاج في مجازات سورة الكهف

الوظيفة الحجاجية هي الوظيفة التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري والعاطفي للمتلقي[1]، وهي من أبرز الوظائف التداولية للخطاب ، والوظيفة الحجاجية للصورة المجازية هي توخي الأساليب الملائمة للمقام قصد الاستمالة والتأثير وإقناع المتلقي .[2]

وقبل الغوص في غمار هذه الوظيفة نعرج أولا على التعريف بالحجاج وماهيته.

أولا : تعريف الحجاج :

إن مصطلح الحجاج –على حداثته– ليس بالقضية العصرية، بل إن هذا المصطلح كان يدرس قديما ولكن تحت مسمى آخر وهو (الجدل) :

1-الحجاج عند الغرب:

لقد اهتم الفلاسفة اليونانيون بقضية الجدل أو الحجاج انطلاقا من اهتمامهم بفنون الكلام وقواعده ، ومن أبرز هؤلاء الفلاسفة أرسطو ، الذي حاول تنظيم قواعد فن الشعر والخطابة، وانطلق في تنظيره مما وضعه أستاذه سقراط ، حيث جعل لها خطتين : جدلية ونفسية . ورأى أنه لابد للخطابة الجدلية من أمرين : التركيب الذي يجمع به الخطيب نواحي الفكرة المتفرقة ليتمكن من تحديد الكلام ، والتحليل الذي يرد الفكرة إلى آراء جزئية ، وسمى أصحاب القدرة على التركيب والتحليل (جدليين)، فالخطابة عند أرسطو نوع من الجدل ،أو هي الجدل بعينه.[3]

---

(1)–ينظر:–عمر أوكان ، اللغة والخطاب ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء / المغرب د ط / 2001 ، ص 133.

(2)– ينظر:علي محمد سلمان ، كتابة الحجاج في في ضوء نظريات الحجاج (رسائله أنموذجا) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت / لبنان ، ط 1 / 2010 ، ص (267 ، 268).

(3)–ينظر: أرسطو طاليس ، كتاب الخطابة ، تر : إبراهيم سلامة ،مكتبة الأنجلو مصرية / مصر ، ط 2 / 1953 ، ص24 .

وبهذا فأرسطو يؤكد على علاقة التغيير بالإقناع فيقول في ذلك : "فالإنسان لأنه متكلم معبر يبحث بطبعه على الإقناع ،ويحاول أن يصل بكلامه إلى إقناع أكبر عدد ممكن من الناس بوسائل مستمدة من التفكير الذي حُبي به من الطبيعة."(1)

وبهذا فالجدل خاصية طبيعية في الإنسان وهي ترجع إلى غاياته التي يرجو تحقيقها من المتلقي. وقد تلخصت عند الفلاسفة في مبدأ الإقناع .

وقد تطور الاهتمام بالحجاج عند الغرب في العصر الحديث ، وصار موضوعا خاصا قائما بذاته ، ويتفاعل مع بعض المباحث التداولية ،" ففي متطور بعض هذه الكتابات نجد الحجاج أو التدليل يشير إلى ذلك الخطاب الصريح أو الضمني الذي يستهدف الإقناع والإفحام معا ، مهما كان متلقي هذا الخطاب ، ومهما كانت الطريقة المتبعة في ذلك ."(2) وكان ذلك بمثابة الركيزة التي قامت عليها نظرية الحجاج المعاصرة .

وقد مرت دراسة الحجاج في العصر الحديث بعدة مراحل برز فيها عدد من المنظرين وهم :

***الحجاج عند بيرلمان :**

جاء بيرلمان بما يسمى بمدرسة البلاغة البرهانية ، التي شكلت المرحلة الأخيرة ، أو المنظور البلاغي المستحدث لتطور البحوث البلاغية في كل الثورة اللسانية الحديثة ، ويعد هذا الباحث أول من استحدث مصطلح البلاغة الجديدة ، وذلك في عنوان أحد أشهر كتبه سنة 1958 تحت اسم (مقال في البرهان) : البلاغة الجديدة(3)، ويعتمد هذا الكتاب على " محاولة لإعادة تأسيس البرهان أو المحاجة الاستدلالية باعتباره تحديدا منطقيا بالمفهوم الواسع ، كتقنية خاصة ومتميزة لدراسة المنطق التشريعي والقضائي على وجه التحديد ، وامتداداته إلى بقية مجالات الخطاب

---

(1)- أرسطو طاليس ، كتاب الخطابة ، ص 24

(2)- حبيب أعراب ، الحجاج والاستدلال الحجاجي (عناصر استقصاء نظري)، عالم الفكر ، مجلة دورية محكمة ، الكويت ، ع 1 ، سبتمبر 2001 ، ص 99.

(3)- ينظر :صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص 73 .

المعاصر " [1].ثم يواصل شرحه لنظرية المحاججة التي يرى أنها :" لا يمكن أن تتمو إن تصورنا أن الدليل البرهاني إنما هو مجرد صيغة مبسطة بديهية ، ولذلك فإن هدف نظرية البرهان (Argumentation) لديه هو دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص للأغراض التي تقدم لهم ، أو تعزيز هذا التأييد على تنوع كثافته . ويجد أن تحليل الحجج البرهانية ذات الطابع العقلي فلسفيا ضروري لأنها تتوجه إلى قراء لا يخضعون للإيحاءات والضغوط والمصالح والأهواء. "[2]

وقد تتميز الحجاج عند بيرلمان بخمس ملامح رئيسية :

- أنه يتوجه إلى مستمع.
- أن يعبر عنه بلغة طبيعية .
- مسلماته لا تعد أن تكون احتمالية .
- لا يفتقر تقدمه –تناميه–إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة .
- ليست نتائجه ملزمة. [3]

ومنه فالحجاج عند بيرلمان هو إمكانية إثارة تأييد وموافقة الأشخاص للفروض التي تقدم لهم وتعزيزها ، وذلك عن طريق الحجج المناسبة للموقف والتي تتدرج في قوتها حسب الحاجة .

---

(1)– صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص 73 .

(2)– صلاح فضل ، المرجع نفسه ، ص 74 – 75 .

(3)– ينظر ، محمد سالم ولد الأمين ، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة ، عالم الفكر، الكويت ، ع 2، يناير / مارس ، 2000 ، ص 61 .

***الحجاج عند رولان بارت**

انطلق رولان بارت في دراسته للحجاج – في كتابه قراءة جديدة للبلاغة القديمة– من التقسيمات القديمة للبلاغة ، ثم قام بإعادة صياغتها بمصطلحات جديدة توافق النظريات اللغوية الحديثة كذلك ، وبهذا فإن مجهوده هذا يعد بمثابة مساهمة واضحة في تأسيس البلاغة الجديدة . ولقد كان اهتمام بارت بموضوع الحجاج أقل تركيزا من بيرلمان و أقل دقة في مفاهيمه(1).

ثم أن عنصر الحجاج عند رولان بارت لا يأخذ خصوصية واضحة بل يرى أنه محتوى داخل عناصر النص ، حيث نجده يركز في ذلك على عنصري الاستهلال والخاتمة والتي استقى مفاهيمها من البلاغة القديمة ، فقوة الإقناع عنده تكمن في اهتمام المتكلم وتقويته لهذين العنصرين:

- الاستهلال : وهو ما يسمى بالتقديم أو المقدمة ،حيث يجب أن يتسم هذا العنصر من الخطاب بالاستهواء برفق وإغواء المتلقين ، ويتعلق بسرعة الاستمالة ، وهو من أكثر العناصر استقرارا ضمن النسق البلاغي ، دقيق النمط يتراوح حسب علاقة القضية أو الطرح بالاعتقاد الشائع .
- الخاتمة : وهي ما يكون في نهاية الخطاب ويجب أن تتسم بالتلخيص والتأثير .(2)

كما أن القوة المحاججة تمتد لتشمل النص الداخلي أو ما نسميه بالعرض والذي يجب أن يتسم بالشفافية والإيجاز ، كما يجب أن يهيئ للمحاججة ، ويستحسن فيه خفاء المعنى ، وتوزيع الأدلة على شكل بذور (التصديقات)، كما يتضمن العرض عنصري الأحداث والأوصاف .

(1)– ينظر : هاجر مدقن ، الخطاب الحجاجي ، أنواعه وخصائصه ، دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي ، إش : جمال كديك ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة ورقلة / الجزائر ، 2002 / 2003 ، ص 30 .

(2)– ينظر:هاجر مدقن : المرجع نفسه، ص 30 .

أما بالنسبة لعرض الحجاج فيتسم بـ :

- الاقتراح (التصدير) : تحديد ملتقط من القضية بهدف المجادلة .
- المحاججة :وهي عرض الأدلة المحتملة ، وتتطلب البدء بالأدلة القوية ، وإتباعها بالأدلة الضعيفة ، والانتهاء بالأدلة الأكثر قوة .[1]

وبهذا فإن اهتمام رولان بارت بعنصر الحجاج لم يكن مركزا بل تناوله من خلال دراسته لما سماه الشجرة البلاغية ، والتي تضبط عناصر الخطاب البلاغية .

***الحجاج عند جون ميشال آدم:**

يعرف جون ميشال آدم الخطاب الحجاجي بأنه خطاب "موجه للتأثير على أراء و سلوكات المخاطب أو المستمع وذلك يجعل أي قول مدعم صالحا أو مقبولا (النتيجة) وذلك بمختلف الوسائل بالنظر لقول آخر (الحجة – المعطاة – الأسباب) .وعلى سبيل التعريف نقول أن المعطاة – الحجة تهدف إلى إثبات أو نقض قضية. "[2]

ويمكن التمثيل للدفاع عن أطروحة (معطاة) بالحجج بهذا الشكل:

الأطروحة القديمة : مقدمة (معطيات) ←الحجج ←النتيجة (الأطروحة الجديدة) [3]

***الحجاج عند ألان بواسينو :**

يعتبر هذا الباحث تلميذ بيرلمان حيث تبنى آراءه في كتابه " النصوص الحجاجية " ويظهر تأثره به من خلال تعريفه للنص الحجاجي من وجهة نظر تعليمية حيث يرى أن:

- النص الحجاجي لا يختصر في نموذج البرهنة المنطقية رغم استعمالها لبعض وسائلها.
- كما يرى أن هذا النص مركز حوار بين المتلقين (يركز على العلاقة مع الأخر).

---

(1)– رولان بارت ، قراءة جديدة للبلاغة القديمة ، تر : عمر أوكان ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء / المغرب ، ط 1 / 1994 ، ص 73 ، 76 (بتصرف).

(2)– هاجر مدقن ، الخطاب الحجاجي ، أنواعه وخصائصه ، دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي، ص 33 .

(3)– ينظر: هاجر مدقن ، المرجع نفسه ، ص 33 .

ولقد اهتم **ألان** بدراسة النصوص الحجاجية حيث يرى أنها " تمر بمرحلة أولية إلى مرحلة نهائية بواسطة مسار تحويلي ، يمر أيضا من مرحلة التفكير الأولى (الأطروحة المعطاة المرفوضة) إلى مرحلة التفكير النهائي (الأطروحة المقترحة) بواسطة مسار حجاجي" .[1]

2 -عند العرب :

لقد عني البلاغيون العرب قديما بالكلام والتخاطب عناية كبيرة فعمدوا إلى تقسيم وجوه الكلام ومناسباته وصفته تناسبا مع متلقيه أيا كان ، ومهما كانت طبقته " فإذا كان موضوع الكلام على الإفهام (....) فالواجب أن تقسم طبقات الكلام على طبقات الناس ، فيخاطب السوقي بكلام السوقة والبدوي بكلام البدو (.....) ، ولا يتجاوز به عما يعرفه إلا ما لا يعرفه ، فتذهب فائدة الكلام ، وتعدم منفعة الخطاب. "[2]

وقد ورد مفهوم الحجاج – بمعناه الحديث- قديما عند العرب بتسميات اختلفت باختلاف توجيهات أصحابها حيث يلخصه الجاحظ في قوله " مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضع ."[3] وبهذا فالجاحظ يسمي الحجاج بالبيان وقد أكد على مفهومه للحجاج بعبارة " الإفهام " والذي هو الإقناع .

ومن البلاغيين الذين اعتنوا بمفهوم الحجاج أيضا : ابن وهب إسحاق ، حيث جعل الاحتجاج نوعا من أنواع النثر على سبيل التصنيف حيث يقول في ذلك :"فأما المنثور فليس يخلو أن يكون خطابة أو ترسلا أو احتجاجا أو حديثا ، ولكل واحد من هذه الوجوه موضوع يستعمل فيه ".[4] ولقد تناول ابن وهب عنصر الحجاج في كتابه البرهان في وجوه البيان حيث ركز اهتمامه عليه وسماه (بالجدل) ويقول فيه : " وأما الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به

---

(1)- هاجر مدقن ، الخطاب الحجاجي ، أنواعه وخصائصه ، دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي ، ص 34 .

(2)- أبو هلال العسكري ، الصناعتين الكتابة والشعر ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط 2 / 1989 ، ص 39 .

(3)- الجاحظ ، البيان والتبيين ، دار مكتبة الهلال ، بيروت / لبنان ط 2 / 1992 ، ص 82 .

(4)- أبو الحسين إسحاق بن وهب ، البرهان في وجوه البيان ، تح : جفني محمد شرف ، مطبعة الرسالة ، عابدين / مصر ، د ط / د ت ، ص 150.

إقامة الحجة فيما اختلف فيه من اعتقاد المتجادلين ويستعمل في المذاهب ، والديانات ، وفي الحقوق ، والخصومات ، والتوسل في الاعتذارات ، ويدخل في الشعر والنثر. "[1]

ولقد كان مفهومه لهذا العنصر مقاربا لما جاء به الجاحظ في هذا الباب ، كما لا يختلف الأمر كثيرا عند ابن خلدون الذي كان دقيقا في تعريفه للجدل حيث يقول: " وأما الجدل فهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم . فأنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعا ، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج ، ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون خطأ فأحتاج الأئمة إلى أن يضعوا، آدابا وأحكاما يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول ، وكيف ويكون حال المستدل والمجيب ."[2]

وبهذا فالجدل عند ابن خلدون يمثل جزء من أصول المناظرة وآدابها وأحوال المتناظرين والأحكام التي يجب أن يراعوها في احتجاجاتهم وأخذهم وردهم ،وبهذا فالجدل عند ابن خلدون هو " المعرفة بالقواعد من الحدود والآداب ،في الاستدلال ،التي يتوصل بها إلى حفظ رأي وهدمه." [3]

ولقد حذا العديد من الباحثين العرب المهتمين بعلم الكلام حذو ابن خلدون في تبنيهم لفكرة أن الحجاج آلة من آلات الجدل ووسيلة له على غرار حازم القرطاجني وغيره . ومن هنا نلاحظ أن عنصر الحجاج في الفكر العربي الإسلامي القديم انحصر في لونين خطابيين هما " خطابة الجدل والمناظرة فيما بين زعماء الملل والنحل ، وفيما بين النحاة والمناطق ، وفيما بين الفلاسفة والمتكلمين ، والخطابة التعليمية المتمثلة في الدروس التي كان يلقيها العلماء في مختلف العلوم آنذاك. "[4]

(1)– إسحاق بن وهب ، البرهان في وجوه البيان ، ص 176 .
(2)– عبد الرحمان بن خلدون ، المقدمة ، ص 820 .
(3)– عبد الرحمان بن خلدون ، المرجع نفسه ، ص 821 .
(4)– أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، ص 470 .

أما الحجاج عند العرب في العصر الحديث فقد برز فيه عدد من الباحثين أبرزهم الباحث الجزائري :طه عبد الرحمان

***الحجاج عند طه عبد الرحمان :**

يعتبر طه عبد الرحمن من أبرز المفكرين الذين عالجوا مسألة الحجاج بوصفه آلية لغوية يستخدمها المرسل للإقناع ، ومن حيث هو كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها [(1)].

ولما كانت اللغة التي يستعملها الحجاج أساسا هي اللغة الطبيعية فقد عدَّ الحجاج من وظائف اللغة الأربعة (الوصفية – الإشارية – التعبيرية – الحجاجية) فالمرسل يستخدم اللغة لغاية الحجاج بالبرهان والتفسير .

وقد أورد هذا الباحث عدة تعريفات لعنصر الحجاج ، فتارة يتحدث عنه باعتباره الآلية الأبرز للإقناع ، وتارة بوصفه فعالية تداولية جدلية ، وتارة أخرى على أنه فعالية استدلالية خطابية.[(2)]

وقد أشار طه عبد الرحمان للطبيعة التداولية للحجاج في قوله " الحجاج فعالية تداولية جدلية ، فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي ، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية ، ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء موجها بقدر الحاجة ، وهو أيضا جدلي لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة ." [(3)]

(1)– ينظر:طه عبد الرحمان ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص 226 .

(2)– ينظر:طه عبد الرحمان ، المرجع نفسه ، ص 227 .

(3)– طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ، ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، 2000 ، ص 65 .

وبهذا فطه عبد الرحمان يصف الحجاج بالتداولية لأنه يهتم بالمقام ويلتزم بما ينتجه من ضوابط اجتماعية ، كما يصفه بالجدلية لكونه يهدف إلى الإقناع عن طريق الاستدلال.

ولقد قام هذا الباحث في دراسته لعنصر الحجاج بتحديد أصنافه وشرح كل منها ،كما قام بتوضيح نقطة مهمة فيه وهي ما يسمى بالسلم الحجاجي .

ثانيا :أصناف الحجاج والسلم الحجاجي :

يرى الباحث طه عبد الرحمان أن جوهر الخطاب يقوم على العلاقة الاستدلالية ، وليست ثمة علاقة استدلالية إلا بتحميل قصدين هما : (الادعاء- الاعتراض) ، غير أن هذين القصدين قد يردان على مقتضى التجريد أو التفريق أو الجمع ، مما يجعل العلاقة الاستدلالية على ثلاثة أصناف هي :

1-الحجاج التجريدي :

وهو الإتيان بالدليل على الدعوى على طريقة أهل البرهان ، علما أن البرهان هو الاستدلال الذي يعنى بترتيب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النظر عن مضامينها واستعمالاتها ، أو هو الاستدلال الذي يتعاط فيه المحتج تقليد البرهان الصناعي.[1]

2-الحجاج التوجيهي :

ويفوق النوع الأول رتبه ، وهو إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل ، علما بأن التوجيه هو هنا فعل إيصال المستدل لحجته إلى غيره ، فقد ينشغل المستدل بأقواله من حيث إلقاءه لها ولا ينشغل بنفس المقدار بتلقي المخاطب لها ورد فعله عليها ، فتجده يولي أقصى عنايته إلى مقصوده وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة ، غير أن قصر اهتمامه على هذه القصود والأفعال الذاتية يقضي به إلى تناسي الجانب العلائقي من الاستدلال ، هذا الجانب الذي يصله بالمخاطب ويجعل هذا الأخير متمتعا بحق الاعتراض. "[2]

وهذا النوع من الحجاج يراعي وجهة المدعي وحدها في استدلاله .

(1)- طه عبد الرحمان اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص 226 ، 228

(2)- طه عبد الرحمان ، المرجع نفسه ، ص 228 .

3- الحجاج التقويمي :

وهو أعلى من النوعين السابقين درجة ، ويقصد به " إثبات الدعوى بالاستدلال إلى قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذاتًا ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه ، فهاهنا لا يكتفي المستدل بالنظر في فعل إلقاء الحجة إلى المخاطب ، وفقا على حدود ما يوجب عليه من ضوابط وما يقتضيه من شروط ، بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي باعتباره هو نفسه أول متلقي لما يلقى ، فيبني أدلته أيضا على مقتضى ما يتعين على المستدل له أن يقوم به ، مستبقا استفساراته واعتراضاته ومستحضرا مختلف الأجوبة عليها ومستكشفا إمكانات تقبلها وإقناع المخاطب بها ."(1)

وبهذا فالحجاج التقويمي يبنى على الافتراضات المسبقة في تكوين استدلالاته ، محاولا الإلمام بكل الجوانب تفاديا لأي حجة قد تعارضه .ولكل نوع من هذه الأنواع الحجاجية مراتب تختلف حسب درجة قوة الحجج ومساواتها للحجج المعارضة .

*** السلم الحجاجي :**

هو عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية وموفيه بالشرطين التالين :

- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته ، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه .
- كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين ، كان ما يعلوه مرتبه دليلا أقوى عليه .

---

(1)- طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص 228 .

***- قوانين السلم الحجاجي :**

- قانون الخفض : مقتضى هذا القانون أنه إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم ، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها .
- قانون تبديل السلم : مقتضى هذا القانون الثاني أنه إذا كان القول دليلا على مدلول معين ، فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله .
- قانون القلب : مقتضى هذا القانون أنه إذا كان أحد القولين أقوى من الأخر في تدليل معين ، فإنه نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على النقيض المدلول.(1)

أي أن الحجج والبراهين داخل خطاب معين تكون متعلقة ومترابط فيما بينها بحيث تبتدئ قوتها من الجهة الأولى ثم تنخفض تدريجيا .

وخلاصة القول أن الحجاج هو إستراتيجية إقناعية وعملية خطابية يهدف من خلالها الخطيب إلى تسخير المخاطب لفعلٍ أو ترك ، بتوجيهه إلى اعتقاد قول يعتبره كل منهما شرطا كافيا ومقبولا للفعل أو للترك ، فالهدف الأساسي إذن للخطاب هو الإقناع .

(1)- ينظر: طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص 277 – 278 .

ثالثا :الوظيفة الحجاجية في مجازات سورة الكهف :

يستعين المتكلم بالحجة التي تساعد على الإقناع ، كما يستند على الخليفة العامة المكونة للمجتمع ، ولهذا فان الحاجة إلى البرهان في الخطاب ذات أهمية في الخطابات الحجاجية.

ولقد استعملت الحجة كمرادف آخر للدليل ، وهدفها إفادة الرجوع أو القصد –إفادة الغلبة – و هذا المصطلحان يحيلان في مفهومهما إلى إلزام غيرنا بالحجة بحسب الحاجة إلى استعمالها في الخطاب ، وقد أكد طه الرحمن ذلك بقوله: " الدليل هو الذي يقصد للعمل به ، ولتحصيل الغلبة على الخصم مع نصرة الحق أو نصرة الشبهة. " (1)

ويظهر الحجاج في الأسلوب الحواري ، و الذي يعد من مناورات الكلام في مستواه النفعي الذي يتواصل به الناس ومن ثمة اكتسى من الأسلوب أهمية و قيمة جالية بالغة بسبب ما ينطوي عليه من مهارات تحقق التأثير و الإقناع و التجاوب و الاستمالة ...

ولقد احتوى النص القرآني على العديد من النماذج البديعة من الفن الحواري التي يستدعيها لنا تارة من مشاهدة غيبية ماضية أو مستقبلية و تارة أخرى يجتزنها من موافق مباشرة مزامنة للوحي أو محكية من قصص الأمم السابقة ، و هذا لتحقيق و تقرير قيم دينية وروحية و خلقية و سلوكية لا تخلو من نفحات الجمال الفني .

ولقد احتوت سورة الكهف التي هي محل دراستنا على مزيج مذهل من الأسلوبين الحواري و القصصي من خلال الأجزاء الأربعة لها : قصة أهل الكهف – قصة صاحب الجنتين – قصة سيدنا موسى مع العبد الصالح – قصة ذي القرنين . وذلك على اعتبار أن الحوار مقوم سردي يقوم عليه الأسلوب القصصي .

(1)– طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص 137 .

وفي ما يلي سنقوم بدراسة الخصائص الحجاجية للنص الحواري في السورة و الذي هو من أهم مستويات تجلي البعد التداولي للخطاب ، وتقوم هذه الدراسة على مرحلتين :

***المرحلة 1 :**

التشخيص : وهو خاصية تلفظية كما يسميها (بانفنيست) حيث إن التلفظ يتميز بحدة العلاقة الخطابية مع الشريك سواء أكان شريكا حقيقيا أو متخيلا، فرديا أو جماعيا ، وهذه الخاصية تطرح ما يسمى بـ : الإطار التشخيصي للتلفظ.(1)

وفي هذا الإطار نقوم بتحليل النص الحواري بحيث نستخرج منه أطراف الحوار كما نركز على مصدر التلفظ والهدف منه . وقد أشار طه عبد الرحمن إلى هذه الظاهرة و أدرجها كنوع من أنواع الحجاج سماه " الحجاج التقويمي ."

***المرحلة 2:**

دراسة الروابط الحجاجية :

تتناول هذه المرحلة دراسة الأدلة الحجاجية من خلال الروابط التي تظهر على النص الخطاب و تعرف الروابط بأنها " العلاقة التي تصل شيئين ببعضهما البعض وتعيين على فهم المعنى كون اللاحق منها متعلقا بسابقه .(2)

ومنه يمكن أن نعرف هذه الروابط بأنها العنصر الذي يربط بين اسم أو جملة و اسم متقدم ليكتمل معنى الجملة .

---

(1)– ينظر:هاجر مدقن ، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه ، ص 61 .

(2)– محمد سمير نجيب ، معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت / لبنان ، ط1 / 1985 ، ص 90 .

وعموما فالروابط هي أدوات تحقق النظم ، وتحقق العلاقات المرجعية في داخل النصوص . والنص /الخطاب هو مجموعة من الأبنية اللغوية المختلفة وهذه الأبنية عبارة عن " خليط من الروابط و العوامل تتطلب النظر في الوجود و الفروق بينها للوقوف على أيها أقوى حجاجيا ،أو ما يتولد عن تعاملها من فروق. " (1)

فهناك مكونات تغير قوة الجملة دون محتواها الخبري كالنفي و الاستثناء و الشرط و الجزاء ....، وهناك مكونات ذات خصائص معجمية محددة تؤثر في التعليق النحوي وتتوزع في مواضع متنوعة من الجمل ، ومن هذه الوحدات المعجمية حروف الاستئناف بكل معانيها (الواو –الفاء – لكن –إذن .....) ، و الأسوار (بعض –كل – جميع) ، وهي كلها عناصر نحوية تسمى روابط حجاجية .(2)

والروابط الحجاجية قسمان :

–قسم يقدم الحجة. **– وقسم يظهر النتيجة .**

فالقسم الأول يتمثل في الأدوات : لكن ، واو الحال ، ألا، إن ، حتى ، إلاّ، إن ، لا ، فإن ،أما ....، ومن الأدوات التي تظهر النتيجة :إن ، لام التعليل ، لأن ، مع ، ذلك ، إذا ...

كما أن هناك أدوات لغوية أخرى منها ما يفيد النفي مثل: لا ، ليس ، لم ... ومنها ما يفيد التوكيد و الإثبات مثل : إن ..(3)

وتلعب هذه العوامل الحجاجية دورا مهما و فاعلا في دراسة النصوص بالمنهج التداولي و يميز (ديكرو) بين نوعين من المكونات اللغوية التي تحقق الوظيفة الحجاجية:

---

(1)– شكري المبخوت ، نظرية الحجاج في اللغة ، سلسلة كلية الآداب منوبة ، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، د ط / د ت ، ص 377 .

(2)– هدى وصفي ، في فن الحجاج والجدل ، دار الهاني للطباعة والنشر ، القاهرة / مصر ، د ط / 2002 ، ص 94 – 95 .

(3)– يمينة ثابتي ، الحجاج في رسائل بن عباد الرندي ، دراسة تداولية ، قسم الأدب العربي ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو / الجزائر ، رسالة ماجستير ، 2007 ،. ص 151 .

أ-**الروابط الحجاجية** : و هي تربط كما أشرنا بين قولين أو حجتين على الأصح أو على الأكثر ، ونسند لكل قول دورا محدد داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة . فالروابط الحجاجية تربط بين القيمة الحجاجية لقول ما و النتيجة التي يمكن أن تؤدي إليها .(1)

ب – العوامل الحجاجية :

وتبرز هذه العوامل في مكونات و مستويات مختلفة من البنية اللغوية ، فبعضها يتعلق بمجموع الجملة فيقيدها بعد أن تم الإسناد فيها ، ومن هذا النوع نجد: النفي ، الحصر ، الاستثناء ، الشرط و الجزاء ...الخ. وبعض المكونات المعجمية التي تحيل في الغالب إحالة غير مباشرة مثل : منذ (الظرفية) ،تقريبا ،و على الأقل ...(2)

وهذه العوامل لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة و نتيجة أو بين مجموع حجج) ولكنها تقوم بحصر و تقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما .

وبهذا فالروابط هي عناصر لغوية تربط بين جزئي الكلام بفعلها بينما العوامل هي أساليب لغوية تستعمل لغايات إفهامية يستوجبها السياق العام .

وفي ما يلي ننطلق في توضيح الحجاج في أجزاء السورة معتمدين على المقاطع الحوارية للسورة التي قسمها الباحث **والأستاذ :نور دين دحماني** من جامعة مستغانم ،والذي وضع بحثا حول بلاغة الحوار القرآني ووظيفته الحجاجية من خلال سورة الكهف:

1 – الحجاج في قصة أهل الكهف:

أُستهل هذا الجزء من السورة بمطلع حواري أحادي الجانب في قوله تعالى ﴿ **أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا** ﴾ (9/الكهف) فالطرف الأول هنا هو (الله سبحانه وتعالى) كونه مصدر الإفضاء ، أما المتلقي فهو النبي (ص) بوصفه المرسل إلى هداية الناس . وقد قرر هذا المطلع الحواري بأن حديث أهل الكهف ، وإن كان من عجائب الآيات

---

(1)– أبو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج ، مؤسسة الرحاب الحديثة ، بيروت / لبنان د ط / 2009 ، ص 33 .

(2)– شكري المبخوت ، ، نظرية الحجاج في اللغة ، ص 377 .

والدلائل بالنسبة للأفق الإدراكي البشري فانه ليس كذلك قياسا إلى الأفق الإدراكي الإلهي المتميز باللامحدودية الاطلاع ، فهو أمر هين في غاية اليسر بل هناك من البدائع الكونية الأخرى ما هو أكثر استدعاءا للغرابة و العجب من أمر استحضار حديث أصحاب الكهف من غابر العصور ، فهذا المطلع الحواري إفحامي ذو غاية استدلالية على عظمة القدرة الإلهية.

فالتشخيص العام لهذه الآية يظهر لنا : مصدريْ التلفظ و هما طرفا الحوار ، و الهدف منه الإفحام ، و الذي يؤكده الأسلوب الذي جاءت به الآية- المجاز- وقد احتوت هذه الآيات على :

*-الروابط الحجاجية : أم – أنّ .

*-العوامل الحجاجية : النفي والذي جاء بأسلوب غير مباشر ، فتأويل الآية هو : " بل أحسبت يا محمد أن أصحاب الكهف و الرقيم كانوا من آيتنا عجبا ، فلخلق السموات و الأرض أعجب من هذا ....."[(1)] ، فالله جل جلاله ينفي العجب عن أمر أهل الكهف و يؤكد حجته بالتذكير بما عليه آياته في خلقه من العجب .

ثم يورد لنا سياق القصة دعاء الفتية لربهم في الكهف في قوله تعالى: "﴿ **إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا** ﴾" **(10/ الكهف).**

فمقام الدعاء يقضي عادة أسلوب حواريا غير مباشر أو لنقل استعمالا مجازيا للحوار و الطلب وهذا الحوار يكون أحاديا من المرسل إلى ربه ونصف هذا الحوار بالأحادية لأنه لا يقتضي تجاوبا كلاميا من هذا الأخير ، بل يفترض استجابة فعلية منه إن شاء ، وهو ما حدث حقا في هذه القصة وذلك لما أجابهم الخالق و قضى في شأنهم بحكمته فيقول : ﴿ **فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ**

(1)- الفضل بن الحسن الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، ج 6 ، دار المرتضى بيروت / لبنان ، ط 1 / 2006 ، ص 239 .

فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ﴾ (11/الكهف) ، وكان ذلك رحمة منه بحالهم وحفظا لهم من أذى قومهم . وحفظا لعقيدتهم .

ولقد كان هذا الموقف الحواري و الذي جاء هدفه طلبيا دعائيا خال من الروابط الحجاجية مكتفيا بقوته المستمدة من صدق المرسلين (الفتية) .

واشتملت قصة أهل موقفا حواريا ثالثا دل عليه قوله تعالى: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ (14/الكهف) والذي يظهر لنا التفسير أنه كان بينهم وبين قومهم و ملكهم الجبار ديقيانوس [1] ، فثبتهم الله على الإيمان أمام هذه السلطان الجائر خاصة أنهم كانوا يجاهرون بإيمانهم أمام الملا مسفهين عقيدة الشرك التي استحكمت في قومهم استحكاما يتعذر زعزعته فالتشخيص الخاص بمصدر التلفظ يظهر لنا أن الحوار كان بين الفتية و قومهم /ملكهم، و العرض هنا الحجاجي برهاني يتضمن إقرارا إيمانيا صريحا ودحضا للشرك و الضلال . وتؤكد الروابط الحجاجية (إذ ، و ، ف) في هذه الآية على العرض الحجاجي وتبين أسبابه ونتائجه .ثم إن استعمال التصوير المجازي في قوله تعالى " ربطنا" يظهر لنا قوة الموقف الذي كان الفتية يواجهونه أمام قومهم و أهلهم وصعوبته ، مما كان يقتضي تدخل حكمة لتأييدهم وتقوية موقفهم و تثبيتهم على الحق .

2- الحجاج في قصة صاحب الجنتين :

يطغى المظهر الحواري في هذا المثل القصصي على الأسلوب السردي ، ونلمح ذلك بشكل واضح ، وقد جسد لنا هذا المثل مستوى حواريا واحدا ، طرفاه : الرجل المؤمن(الفقير) والرجل الجاحد (الميسور) الذي راح يستفز صاحبه قائلا كما جاء في الآية: ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾ {34/الكهف}.

(1)–ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج 3 ، ص 1757 .

ولما وجد أنه لم يؤثر عليه ، راح يصعد من حدة طيشه ، متعديا هذه المرة على حدود الله محاولا إثارة حفيظة المؤمن والاستهزاء بمشاعره الروحية ، ويظهر ذلك في قوله تعالى ﴿**وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾**﴾ **(26-25الكهف)**

وبعد ذلك تورد لنا القصة رد الرجل المؤمن الذي حافظ على هدوءه في بداية الحوار لأن الاستفزاز كان بإظهار النعم التي عنده والتفاخر عليه ، لكن تطاول الرجل الجاحد على حدود الله جعله يهب لإنكار جحوده ونصرة الله وذلك يظهر من خلال قوله تعالى على لسانه: ﴿ **قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾**﴾ **(37 - 41 / الكهف)**

ومن خلال هذا الرد يتضح لنا أن موقف المؤمن إنكاري حجاجي ، غايته الاستدلال على إثبات الألوهية والربوبية لله تعالى ، انطلاقا من إثبات قدرته على إفناء الدنيا ومتاعها بما فيها جنة الكافر التي اغتر بخصبها واكتمال نضج ثمرها الوفير ، والنفر الذين يعتز بهم من دون الله ، كذلك إظهار فظاعة استهتاره بأصل من أصول عقيدة التوحيد ألا وهو الإيمان بالآخرة .

وبعد ذلك ينتقل الرجل المؤمن في محاورته لصاحبه إلى موقف مغاير وهو الوعظ والإرشاد والتذكير ، وذلك عن طريق بيان ما كان ينبغي على صاحب الجنتين قوله وقت دخول جنتيه عوض موقفه الاعتقادي الفاسد الصادر عن نفس جاحدة لفضل ربها ، وكافرة ومشككة في الحقائق الإيمانية الراسخة كحقيقة البعث والنشور .

وقد حاول المؤمن نصح الكافر للإقلاع عن عناده وتدارك زمام أمره حتى لا تضيع منه فرصة التوبة إلى أن يأس منه ، فرجا ربه أن يقلب حال كليهما ، وتضرع له بالدعاء الخالص في ذلك ، ولم يكن هذا الدعاء ناجما عن حبه في المتاع الزائل ولا نكاية في صاحب الجنتين أو حسدا له فيما أوتي ولكنه صدر عن رغبة في تجليه العبرة لصاحبه ، حتى يعاين بنفسه فظاعة تصرفه ، وهو في حالة انهيار عسير ، ووضع مترد ملؤه الحسرة والندم. فهذه الحالة الحوارية تضمنت الأسلوب الطلبي من خلال دعاء المؤمن ورجاءه في العدالة الإلهية بنفس صادقة متيقنة والتي صدقتها المشيئة الإلهية وهو ما تشير إليه نهاية القصة .

والملاحظ من خلال هذا التشخيص العام لمصدر الحوار وغرضه أنه قد كان حوارا تاما كشف لنا براعة المواقف والتصورات والدوافع والحجج ، وأبرز لنا الأفعال وردود الأفعال مما جعل التصوير الفني يتضح بشكل مدهش للمتلقي .ولا يخفى علينا هنا أيضا –بالإضافة إلى العمل النابض للتصوير الفني – الأثر الواضح للحجاج الذي جعل هذا النص مؤثرا بشكل مباشر في روح المتلقي ، خاصة وأنه يهدف إلى اجتذابهم إلى عقيدة التوحيد ، من خلال الإفادة من العبرة التي يجليها لنا الجدل القائم بين الرجلين .

ولقد تم هذا الجدل باستعمال عدد معتبر من الروابط الحجاجية والتي نذكر منها :لأن – لأجدن (اللام) –الواو –الفاء –وما –ولئن ...

وهي روابط تساهم في تقوية الحجج والربط بينها وبين النتيجة ، كما استعمل هذا الحوار عددا من العوامل الحجاجية التي ساهمت في دفعه إلى النجاح وساعدته على الكمال والتي نذكر منها :النفي : وما أظن الساعة قائمة .

التوكيد :ولأجدن خيرا منها .. الحال :وهو ظالم لنفسه.

3الحجاج في قصة سيدنا موسى مع العبد الصالح :

وقد سبق أن بينا أن المجاز في هذا الجزء من السورة واقع في قوله تعالى :﴿ : **قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾** ﴾ **{68-66/الكهف }** إلى غاية قوله تعالى: ﴿ **فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾** ﴾**{ 79/71 الكهف }.**

إن أول ملمح نسجله حول هذا الجزء من السورة هو أن الأسلوب الحواري فيه قد طغى على الأسلوب السردي ، ومع ذلك فإن تصوير المشاهد و الأحداث السردية يبدو واضحا ، كما أن تصوير الانفعالات والمقاصد يظهر بشكل محسوس ، وهذه الخاصية ينفرد بها القصص القرآني ، حيث ومن بين (23)أية ، شغل الأسلوب السردي بمفرده آيتين فقط ، بينما طغى الحوار على بقية الآيات.

ومن هنا سنتناول دراستنا الموقف الحواري القائم بين سيدنا موسى والعبد الصالح وستشمل كل هذا الجزء لأن دراسة الحجاج تقتضي علينا تتبع كل جوانب الحوار .وقد تأسس هذا الموقف الحواري في أربعة مواقف جزئية كما يلي :

أ-موقف التقاء موسى بالعبد الصالح:

ولقد قام الحوار في هذا الموقف على مرحلتين ، وهو حوار تمهيدي مؤسس للأحداث اللاحقة ، وقد اتسم بالحيوية والتصوير المتقن ، والحجاج في هذا الموقف لا يمكننا تصنيفه حسب القوة أو الضعف ذلك أن الحوار أورد لنا موقفنا متساوي الاستدلال ابتدأ بطلب سيدنا موسى مرافقة العبد الصالح ، وانتهى بوضع شروط الاستجابة لهذا الطلب وإظهار صعوبة الأمر ، ومن هنا يمكن أن نلمح بعض التوجيه في هذا الاستدلال.

ب-موقف خرق السفينة

والذي يظهر في قوله تعالى :" ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ﴿٧٣﴾ ﴾(73-71 الكهف).

حيث يبدأ الحوار بسؤال استنكاري لما فعله العبد الصالح ، وسيدنا موسى -بهذا- قام بنقض شرط إتباعه له ، فما كان من العبد الصالح إلا أن قام بتذكيره بالشرط ليؤكد له صحة ما توقعه من عدم قدرته على الصبر والتحمل معه ، وهذا الموقف اقتضى تقديم الاعتذار من سيدنا موسى للعبد الصالح معللا فعله بالنسيان .

والملاحظ في هذا الجزء التدرج في قوة الحجاج في النص الحواري من شدة إلى اللين ، في موقف يدل على مدى جدية الخطاب كما يظهر لنا قيمة أخلاقية وهي الصبر والتحمل في سبيل طلب المعرفة.

ج –موقف قتل الغلام :

يقول تعالى ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا (٧٤) ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا (٧٦) ﴾ {74/76}الكهف .

وفي هذا الموقف أيضا يبتدئ سيدنا موسى بسؤال استنكاري ثان وبالتالي نقض الاتفاق مرة أخرى ، وهذا ما أدى بالعبد الصالح لتذكيره مرة ثانية بالاتفاق و التأكيد مرة أخرى على صحة توقعه ، وكان ذلك بنفس الهدوء الذي صوره الحوار السابق ، ومنه ما كان من سيدنا موسى ألا أن أقر بعجزه بطريقة غير مباشرة (ضمنيا) والتماس العذر من صاحبه ، وقد أكد على أسفه بوضع شرط مواز للشرط الأول في حالة نقضه مرة أخرى للاتفاق .

وقد كان هذا الموقف مشابها في قوته الحجاجية للموقف السابق إلا انه يختلف عنه بإيراده لحجة اعتراضية ستؤسس للرد لأي اعتراض قد يطرأ في باقي المسيرة الاستكشافية. وهي حجة تقويمية حسب الأصناف التي وضعها طه عبد الرحمن .

د –موقف إقامة الجدار :

ويتمثل في الآيتين 77/78 من السورة ، وفي هذا الجزء قام سيدنا موسى بنقض الاتفاق– سهوا –عن طريق سؤال غير مباشر ضمنه في قوله : (لو شئت لاتخذت عليه أجرا)، ولأن العبد الصالح كان ذو حكمة كبيرة فقد استفاد من هذا الخطأ الذي وقع فيه سيدنا موسى ،ووضع حدا للرحلة "هذا فراق بيني وبينك "ثم قام بكشف الستار عن باطن الأفعال التي قام بها .وقد بني هذا الخطاب على الاستدلال التوجيهي حيث اقتصر في حججه على اعتبار وجهة المخاطب ، وبين له أسبابه .

وقد التمسنا في هذه الحادثة ترابطا حجاجيا محكما ، استعملت فيه العديد من الروابط المختلفة حسب قوتها وتلاؤمها مع الموقف ، ونذكر منها :الفاء –حتى –إذا –لقد – أن – لو –أما –كل ....، وقد كانت الفاء أكثر حضورا بينها لدلالتها على الترتيب و السببية ،أما عن العوامل الحجاجية فكان التوكيد أكثرها حضورا خاصة مع الرجل الصالح لأنه كان مطلعا على الغيبيات مسيرا بأمر من الله تعالى وهو ما أكد عليه في ختام القصة(**وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾ "{الكهف 82}** .

4 - الحجاج في قصة ذي القرنين :

لم يحتو هذا الجزء من السورة أي موضع للمجاز عدا السؤال الافتتاحي ،ورغم كونه مبنيا على الحوار إلا أننا نقصيه من الدراسة لكونه لا يخدم موضوعنا العام(الحجاج في مجازات السورة) .

إن هذا التنوع في الحجاج الذي لمسناه في كل أجزاء السورة ناتج عن كون القرآن جاء ردا على خطابات أخرى سواء أكانت علنية أو ضمنية ، فهو يطرح أمرا أساسيا يتمثل في وجوب الإيمان بالله الواحد الأحد ، ويقدم الحجج المدعمة لهذا الأمر بمستويات مختلفة ضد ما يعتقد المتلقون وما يقدمون من حجج ، ويرجع التأكيد على الصفة الحجاجية للقرآن إلى كون المتلقين له كُثر وهم من مستويات مختلفة ، وكذلك الرافضون له والعازفون عنه لهم في الغالب حجج أخرى رغم ضعفها ، وهؤلاء أيضا من مستويات مختلفة ، وهذه سمه أساسية من سمات الخطاب الحجاجي ، والتي تتمثل في مراعاة ما عليه المتلقي من صفات وتبني افتراضات مسبقة عما يمكن أن يتعارض معه .

الخاتمـــــة

وفي نهاية هذا البحث نقدم ما توصلنا إليه من نتائج و إجابات حول الإشكالات التي قام عليها ، فقد أظهرت لنا دراسة المجاز وفق المنهج التداولي مايلي :

1 – أن كلا من المجاز والتداولية يعتمدان على الوضع اللغوي بكل عناصره الداخلية والخارجية لتحقيق هدف مشترك وهو إيصال الرسالة للمتلقي ، فالتداولية ترتكز على مقاصد الكلام التي لا تظهر إلا من خلال الاتصال اللغوي في مقام معين (وتجسدها أفعال الكلام بقوتها الإنجازية)، لذا فهي تهتم بدراسة الأساليب التي يستعملها المتكلم وعلى اختياراته لأدوات و تعابير دون غيرها.

2- إن إظهار أفعال الكلام هو أيسر الطرق لتلخيص المقاصد الحقيقية التي يسعى إليها المتكلم/ منشئ الخطاب ، والتي قد تخالف لفظه ، مما يجعل المتلقي يعتمد في فهمها على عناصر الخطاب الخارجية والتي تتمثل في المقام .

3- أن مقاصد التي تسعى إليها مجازات سورة الكهف بنيت على ثلاثة أشكال للحجاج هي :

-خطط خطابية تسعى إلى إثبات صحة الموقف الذي يتبناه المتكلم وفي الآن ذاته دحض الموقف المخالف ونسفه أو تصحيحه .

- خطط خطابية تسعى إلى تصحيح ما انطبع في ذهن المخاطب من أفكار خاطئة بشأن المتكلم ، وبذلك تنجز فعلين كلاميين متعاكسين .

- تفاعل خطابي غايته أنه يلح على رغبة المتكلم في استدراج المخاطب إلى الاقتناع برأيه وحمله عن طريق البرهان وتعديل موقفه والعمل وفق ما يمليه المتكلم من أحكام كثيرا ما تتوافق ومصالحه .

4- كما أن تطبيق المنهج التداولي على المجاز يظهر لنا أن الوصول إلى مقاصد الكلام مبني على افتراضات مسبقة مشتركة بين طرفي التواصل والتي يستطيع الباحث الوصول إليها عن طريق عناصر لغوية وغير لغوية تعمل على الاتساق العام للنص ، إضافة إلى دور المقام والحجاج في ذلك .

5- ثم إن هذه الدراسة قد أظهرت لنا ما يستدعيه التصوير المجازي من قوة حجاجية للكلام ، فالأسلوب المجازي له دور كبير وأثر بالغ في تكوين بنية الحجاج في النص وخاصة إذا اعتمد على الأسلوب التمثيلي وهذا ما صادفناه خلال دراستنا لمجازات السورة ؛ فقد شكلت المجازات

والاستعارات والتمثيل جزءا لا يستهان به في تركيب حجج قوية وعلى وجوه مختلفة ومتعددة ، ذلك أن الأسلوب القرآني يتسم بالإعجاز اللغوي وكذلك في طرق طرحه للمواضيع .

6- ومنه فالمجاز قادر على إنتاج معارف جديدة ، باعتباره وسيلة فهم وإدراك وتفكير ، كما أنه يعمل على تقريب مقاصد الكلام من خلال عنصر التمثيل والتشبيه . وكما نعلم فالمجاز يُعمل العقل ليصل إلى المعنى الأساسي وهذا ما يجعله راسخا لدى المتلقي وبهذا فهو يعمل على التوجيه المباشر للمقاصد ، وإخراجها من واقعها المجرد إلى الواقع الملموس فتصير أوضح وأبين .

إن مجموع هذه النتائج تظهر لنا أن كلا من المجاز والتداولية يتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي ، فالمجاز يحاول إيصال المعنى بأيسر الطرق وأجمل التراكيب ليؤثر في المتلقي ، والتداولية تسعى لدراسة استراتيجيات الخطاب التي من خلالها يتم التأثير على المتلقي . وبهذا فهما ينطلقان من نفس المبدأ ليصلا إلى أهداف متقاربة وهذا ما يشجع الباحث على المزج بينهما في الدراسة.

ونحن إذ نختتم هذا البحث نأمل أننا قد قدمنا إجابات كافية وشافية على تلك الأسئلة التي طرحناها في مقدمته ، ونأمل أننا قد أكدنا على نجاعة الدراسة التداولية على النصوص التراثية وخاصة على النص القرآني، والتي كان يحيط بها الكثير من الشك في جدواها ، لعدم وجود منهجية متفق عليها في هذا النوع من الدراسة ،كما نرجو أن نشهد مستقبلا مزيدا من الانتاجات حول هذا الموضوع من أجل ترسيخ أسس المنهج التداولي في اللسانيات العربية ،واللهَ نسألُ التوفيق والسداد .

قائمة المصادر

والمراجع

المصادر :

*-القرآن الكريم برواية ورش عن نافع .

المراجع العربية :

1. ابن الأثير ضياء الدين ، المثل السائر ،ج 2 ، تح : أحمد الحوفي و بدوي طبانة ، مكتبة النهضة ، مصر ، د ط / 1960.
2. ابن جني أبو الفتح عثمان ،الخصائص ، ج 1 ، تح : محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت / لبنان ، ط 2 / د ت.
3. ابن خلدون عبد الرحمن ، المقدمة ، شر : محمد الإسكندراني ، دار الكتاب العربي ، بيروت / لبنان ، دط/ 2004
4. ابن عاشور محمد الطاهر ، تفسير التحرير و التنوير ،ج15، دم ط ، د ط / د ت .
5. ابن كثير ، تفسير القران العظيم ، ج 3 ، دار ابن الهيثم مصر ، ط1 / 2005 .
6. ابن المثنى معمر ، مجاز القرآن ، تح : محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي بالقاهرة / مصر ، د ط / د ت .
7. ابن هشام جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تح : مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت / لبنان ، ط 1 /2005.
8. ابن وهب أبو الحسين إسحاق ، البرهان في وجوه البيان ، تح : جفني محمد شرف ، مطبعة الرسالة ، عابدين / مصر ، د ط / د ت.
9. أبو العدوس يوسف ، المجاز المرسل والكناية الأبعاد المعرفية والجمالية ، مكتبة الأهلية / عمان ، الأردن ، ط1 / 1998 .
10. أوكان عمر ، اللغة والخطاب ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء / المغرب د ط / 2001.
11. بلعيد صالح ، نظرية النظم ، دار هومة / الجزائر ، د ط / 2002 .
12. بوجادي خليفة ، في اللسانيات التداولية محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، بيت الحكمة / الجزائر، ط:2 / 2012.
13. بوقره نعمان ، المدارس اللسانية المعاصرة ، مكتبة الآداب القاهرة/ مصر ، د ط/2004.
14. بو ملجم علي ، في الأسلوب الأدبي ، دار مكتبة الهلال بيروت / لبنان ، د ط / 2000

15. الجاحظ عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، تح : عبد السلام محمد هارون ،دار مكتبة الهلال ، بيروت / لبنان ط 2 / 1992.

16. الجاحظ عمرو بن بحر ، الحيوان ،ج 5 ، تح : عبد السلام محمد هارون ، دار الكتاب العربي بيروت / لبنان ، ط3/ 1969.

17. الجارم علي ومصطفي أمين ، النحو الوظيفي لمدارس المرحلة الأولى ، ج 1 ، دار المعرفة ، مكتبة الشركة الجزائرية ، د ط / د ت.

18. الجرجاني عبد القاهر ، أسرار البلاغة ، تح : محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة / مصر ، ودار المدني بجدة / المملكة العربية السعودية ، د ط / د ت .

19. حسني عبد الجليل يوسف ، التمثيل الصوتي للمعاني ، الدار الثقافية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1998/1م

20. حنفي عبد الحليم ، أسلوب الوعيد في القرآن الكريم ، مكتبة الآداب القاهرة ، ط2000/1

21. الخويسكي زين كامل وأحمد محمود المصري ، فنون بلاغية ، دار الوفاء ، الإسكندرية ، ط1 / 2006م.

22. دلاش الجيلالي ، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، د–ط/ ، 1992.

23. الرماني علي بن عيسى ، النكت في إعجاز القرآن ، تح : محمد سلام ، دار المعارف ، مصر ، ط 2 / 1968.

24. الزرقاني عبد العظيم ، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج 1 ، دار المعرفة/ بيروت، لبنان ، ط2001/1.

25. الزماني كمال ، حجاجية الصورة الخطابية السياسية لدى الإمام علي بن أبي طالب ، عالم الكتب الحديث ، أربد / الأردن ، ط 1 /2012.

26. الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر ،تفسير الكشاف، دار المعرفة – بيروت ، لبنان ، ط3 / 2003 .

27. الزناد الأزهر ، نسيج النص ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء / المغرب ، ط1 /1993 .

28. السكاكي يوسف بن أبي بكر ، مفتاح العلوم ،تح : نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت /لبنان ، ط 1 / 1983.
29. سلمان علي محمد ، كتابة الحجاج في ضوء نظريات الحجاج (رسائله أنموذجا) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت / لبنان ، ط 1 / 2010.
30. السلمي أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي ، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ،تق :رمزي سعد الدين دمشقية ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان ، ط 1/ 1987
31. السلمي أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ، مجاز القرآن، تح:محمد مصطفى بن الحاج ،ج 1،منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث ، الجمهورية العظمى،ط1/ 1992.
32. السيوطي جلال الدين ، أسباب التنزيل ،مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت / لبنان ، ط 2002/1.
33. الشهري عبد الهادي بن ظافر: إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ،دار الكتاب الجديد المتحدة / بيروت ، لبنان، ط: 1/ 2004.
34. الصابوني محمد علي ، صفوة التفاسير:ج2،دار القران الكريم – بيروت ، ط4 / 1981.
35. صحراوي مسعود ، التداولية عند العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، دار الطليعة ، بيروت / لبنان ، ط :2005/1.
36. الطبرسي الفضل بن الحسن ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، ج 6 ، دار المرتضى بيروت / لبنان ، ط 1 / 2006.
37. الطبطباني طالب هاشم: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب ،مطبوعات جامعة الكويت د ط/ 1994.
38. عبد الجليل محمد بدري ، المجاز وأثره في الدرس اللغوي ، دار المعرفة الجامعية / مصر ، 2003.
39. عبد الرحمن طه ، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء /المغرب ، ط2/ 2000.

40. عبد الرحمن طه ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ، ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، 2000.
41. عبد الواحد صالح بهجت ،الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل ،مج:6 ، دار الفكر للنشر والتوزيع- عمان ،الأردن ، ط2/ 1998.
42. العزاوي أبو بكر ، اللغة والحجاج ، مؤسسة الرحاب الحديثة ، بيروت / لبنان د ط / 2009.
43. العسكري أبو هلال ، جمهرة أمثال العرب ، تح : أحمد عبد السلام ،ج 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1988/1.
44. العسكري أبو هلال ، الصناعتين الكتابة والشعر ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط 2 / 1989.
45. عشير عبد السلام، عندما نتواصل نغير ، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، دط / 2006.
46. عصفور جابر ، الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي عند العرب ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء / المغرب ، ط 3 / 1992.
47. عطية مختار ، علم البيان وبلاغة التشبيه في المعلقات السبع ، دار الوفاء ، الإسكندرية / مصر ، د ط / 2004 .
48. فضل صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص ، عالم المعرفة / الكويت ، د ط / 1992.
49. الفقي صبحي إبراهيم ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، ج 1 ، دار قباء ، القاهرة / مصر ، ط 1 / 2000.
50. القرطاجني حازم ،منهاج البلغاء و سراج الأدباء ، تح : محمد الحبيب خوجه ، دار الكتب الشرقية/ تونس ، د ط / 1966.
51. قطب سيد ،في ظلال القرآن، مج4، ج15، دار الشروق/ مصر، ط1992/17.
52. القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق : العمدة في محاسن الشعر ونقده ،ج 1 ، تح: محمد محيي الدين ، مكتبة السعادة ، مصر ، ط3 / 1963.
53. المبخوت شكري ، نظرية الحجاج في اللغة ، سلسلة كلية الآداب منوبة ، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، د ط / د ت.

54. المطعني عبد العظيم إبراهيم ، المجاز في اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع ، مكتبة وهبة / مصر ، ط 1 / 1985.
55. مطلوب أحمد ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، ج 3 ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ،/ العراق ، د ط / 1983.
56. نجيب محمد سمير ، معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت / لبنان ، ط1 / 1985.
57. نهر هادي ، النحو التطبيقي ، ج 1 ، عالم الكتب الحديث / الأردن ، ط 1 / 2008.
58. الهاشمي أحمد ، جواهر البلاغة ، في علم المعاني والبيان والبديع ، دار الفكر، بيروت ، ط1 / 2008م.
59. وصفي هدى ، في فن الحجاج والجدل ، دار الهاني للطباعة والنشر ، القاهرة / مصر ، د ط / 2002

المراجع المترجمة :

60. أرسطو طاليس ، كتاب الخطابة ، تر : إبراهيم سلامة ،مكتبة الأنجلو مصرية / مصر ، ط 2 / 1953.
61. أرمينيكو فرانسواز–المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي ، د–ط/ 1986.
62. ايجليون براون وجورج ويول ، تحليل الخطاب ، تر : محمد لطفي الزلطي ، منير تركي ، جامعة الملك سعود / المملكة العربية السعودية ، د ط / 1997 .
63. روبيرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، تر : تمام حسان عالم الكتب ، القاهرة / مصر ، ط 1 / 1998.
64. رولان بارت ، قراءة جديدة للبلاغة القديمة ، تر : عمر أوكان ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء / المغرب ، ط 1 / 1994.
65. فان دايك ، النص والسياق ، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ، تر : عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق / المغرب ، د ط / 2000.
66. فان دايك ،علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ، تر : سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب /جمهورية مصر العربية ، ط:1 / 2001.

67. فيليب بلا نشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان،تر: صابر الحباشة ، دار الحوار– سورية ،ط:1 / 2006 .

68. مارسيلو داسكال ، الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة ، تر : حميد الحميداتي وآخرون ، منشورات إفريقيا الشرق الدار البيضاء / المغرب ، د ط / 1987 .

المعاجم :

69. ابن منظور، لسان العرب ، ج 2 ، تح : يوسف الخياط ، دار لسان العرب ، بيروت / لبنان ، د ط / د ت .

70. أبو القاسم الزمخشري : أساس البلاغة ، ج 1 ، تح : محمد باسل عيون السود ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت / لبنان ، ط 1 /1998.

71. الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ،ج 2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب / مصر ، ط 3 / 1978 .

الدوريات :

72. أعراب حبيب ، الحجاج والاستدلال الحجاجي (عناصر استقصاء نظري)، عالم الفكر ، مجلة دورية محكمة ، الكويت ، ع 1 ، سبتمبر 2001

73. بن عيسى عبد الحليم ، المرجعية اللغوية في النظرية التداولية ، مجلة دراسات أدبية ، مركز البصيرة للبحوث – الجزائر ، ع 1 / ماي 2008.

74. بوقرة نعمان ، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية ،مجلة اللغة والأدب ، ج17 .

75. الجراح عبد المهدي ، إبراهيم الكوفجي ومحمد القضاة ، العناصر المرجعية الضميرية في سورة الكهف ، مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية ، مج : 35 / ع : 3 / 2008.

76. عودة هاشم حسين ،التداولية والمجاز دراسة ابستيمولوجية ، مجلة آداب ذي قار /العراق ،العدد 5 ، مجلد 2 / شباط 2012 .

77. مدقن هاجر ، آليات تطبيق المنهج التداولي على النص التراثي ، الملتقى الوطني الأول في الاتجاهات الحديثة في دراسة اللغة والأدب ، جامعة قاصدي مرباح /ورقلة – الجزائر ، أكتوبر 2011 .

78. ولد الأمين محمد سالم ، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة ، عالم الفكر، الكويت ، ع 2، يناير / مارس ، 2000.

الرسائل الجامعية :

79. أزابيط بن عيسى ، المعنى المضمر في الخطاب اللغوي العربي :البنية والقيمة التنجيزية ، مقاربة تداولية لسانية ، أطروحة دكتوره ، جامعة مولاي إسماعيل ،مكناس / المغرب ،1997/1996.

80. آل صونيت مؤيد ، التداولية المفهوم والمنشأ ،مذكرة لنيل درجة الماجستير ، الجامعة المستنصرية كلية الآداب – العراق ، 2005 .

81. ثابتي يمينة ، الحجاج في رسائل بن عباد الرندي ، دراسة تداولية ، قسم الأدب العربي ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو / الجزائر ، رسالة ماجستير ، 2007.

82. خيار نور الدين ،الخطاب القصصي القرآني دراسة أسلوبية تداولية.،قصة يوسف عليه السلام أنموذجا ،مذكرة معدة لنيل درجة الماجستير ، إ : الطاهر لوصيف ، جامعة الجزائر، 2004/2003.

83. ناغش عيدة، أسلوب الاستفهام في الأحاديث النبوية في رياض الصالحين ، مذكرة معدة لنيل درجة الماجستير ، إ : بوجمعة شتوان ، جامعة مولود معمري – تيزي وزو/ الجزائر، 2012 .

84. مدقن هاجر ، الخطاب الحجاجي أنواعه وخصائصه دراسة تطبيقية في كتاب المساكين للرافعي ، إشراف : جمال كديك ، مذكرة من متطلبات شهادة الماجستير في الأدب العربي / تخصص الأدب العربي ونقده ،جامعة ورقلة / الجزائر، 2003/2002 .

ملخص

البحث

ملخص :

تناولت هذه الصفحات دراسة لتداولية المجاز في الخطاب القرآني من خلال سورة الكهف ، وقد ضم هذا البحث مدخلا نظريا ، وفصليين تطبيقيين وخاتمة جمعت أهم النتائج .

أما المدخل النظري فقد كان عتبة الدخول لموضوع البحث وذلك عن طريق التقديم له وشرح المصطلحات المفاتيح التي جاءت في العنوان وهي : (التداولية والمجاز).

وفي الفصل الأول من البحث تناولنا قضية أفعال الكلام نظريا بشكل مختصر تجنبا للحشو ، كون المصنفات الموضوعة في هذا الموضوع كثيرة جدا .ولقد ركزنا هنا على إبراز أفعال الكلام التي حملتها الآيات المجازية في السورة مع تصنيفها حسب ما جاء به مؤسسا هذه النظرية : أوستن و سيرل .

وبذلك كان تقسيم الفصل إلى جزأين :

- مبحث نظري تكلمنا فيه عن نظرية أفعال الكلام :تعريفها وأسسها وأهميتها في الدراسة التداولية
- مبحث تطبيقي : تم فيه استخراج كل الأفعال الكلامية التي احتوتها الآيات المجازية لسورة الكهف مع تصنيفها وفق أنواع أفعال الكلام المباشرة وغير المباشرة

أما موضوع الفصل الثاني من هذا البحث فقد كان أيضا تطبيقيا أكثر منه نظريا ، ولقد تناولنا فيه جانبا آخر مهما في الدرس التداولي وهو : المقصدية والحجاج في مجازات السورة والتي تمثل الوظائف التداولية فيها ، ذلك أن أي دراسة تداولية لابد أن تشمل هذه العناصر.

وكذلك تم تقسيم هذا الفصل إلى مبحثين هما:

- مبحث حول الوظيفة المقصدية لمجازات السورة : بينا فيه دور المجاز في إيصال مقاصد الكلام .
- مبحث حول الوظيفة الحجاجية لمجازات السورة : بينا فيه مواضع الحجاج وأنواعها في السورة مع إبراز روابطها اللغوية وقوتها حسب تصنيفات السلم الحجاجي .

وفي الأخير أوجزنا النتائج التي توصلنا إليها في الخاتمة .

Résumé:

Notre recherche aborde une étude sur la pragmatique de la métaphore dans le discours coranique ã trouve la sourate (Al-kahf) . Ce travail contient une introduction théorique, deux chapitres pratiques et une conclusion englobant les principaux résultats.

La partie théorique introduit le thème de la recherche à travers des définitions et un glossaire expliquant les mots-clés cités dans le titre (la pragmatique et la métaphore).

Dans le premier chapitre nous avons parlé d'une façon, théorique et brève , la problématique des actes de la parole car on en a suffisamment écrit . ainsi, nous avons mis l'accent sur les actes de la parole apparents dans les versets de la sourate en les classant selon les deux fondateurs de cette théorie: Austin et Cyril. Alors, le chapitre a été répartis en deux parties:

- Une partie théorique dans laquelle nous avons abordé la théorie des actes de la parole: sa définition, ses fondements et son importance dans l'étude pragmatique.
- Une partie pratique dans laquelle nous avons tiré tous les actes de la parole existant dans les versets métaphoriques de la sourate "AL-KAHF" avec une classification selon les actes de la parole directs ou indirects.

Le thème du deuxième chapitre a été aussi pratique que théorique. Dans ce chapitre , nous avons entamé un autre aspect important dans l'étude pragmatique qu'est le but et l'argumentaire dans les métaphores de la sourate qui représentent les fonctions pragmatiques puisque toute étude pragmatique doit inclure ces éléments. Ce chapitre a été, aussi répartis en deux parties:

- L'une sur la fonction causale des métaphores de la sourate dans laquelle nous avons clarifié le rôle de la métaphore dans la transmission des buts de la parole.
- L'autre sur la fonction argumentative des métaphores de la sourate dans laquelle nous avons clarifié l'argumentaire et ses types dans la sourate en faisant apparaître ses relations linguistiques et sa force selon les catégories du classement argumentatif.

En fin, dans la conclusion nous avons cité, brièvement, les résultats que nous avons obtenu.